KINGDOM OF BAHRAIN
Ministry of Education

مَمْلَكَةُ البَحْرَيْن
وَزَارَةُ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيم

دين ١٠٣

القرآن الكريم والسنّة النبوية

للمرحلة الثانوية

قررت وزارة التربية والتعليم بمملكة البحرين تدريس هذا الكتاب بمدارسها الثانوية

إدارة المناهج

القرآن الكريم والسنة النبوية
(دين ١٠٣)

الطبعة الثالثة
١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م

حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم بمملكة البحرين

الإعداد

فريق متخصص من إدارة المناهج

حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة
ملك مملكة البحرين

المحتـــوى

الموضـــوع	الصفحة
المقـدمـــة	٦
الباب الأول: القرآن الكريم وعلومه:	
– الوحي.	٩
– القراءات القرآنية.	١٤
– التجويد.	١٨
– التفسير.	٢٢
– إعجاز القرآن الكريم.	٢٧
– **من قصص القرآن الكريم:**	
• قصة البقرة.	٣٦
• قصة أصحاب الكهف.	٤٢
– **دراسات نصية من القرآن الكريم:**	
• سورة الحشر.	٤٨
• سورة الحجرات.	٦٧
– أثر القرآن الكريم في حياة المسلمين وواجبهم نحوه.	٨٤
الباب الثاني: السنّة النبوية الشريفة:	
– مفهوم السنة وأنواعها.	٩١
– دوافع اهتمام المسلمين بالسنة.	٩٧
– تدوين السنة.	١٠٢
– الحديث النبوي والحديث القدسي.	١٠٨
– الصحابة والتابعون.	١١٢
– الوضع في الحديث.	١١٦
– الكتب الستة.	١٢٢
– **دراسات نصية من الحديث الشريف:**	
• فضل تلاوة القرآن الكريم.	١٣٧
• الأعمال التي لا ينقطع ثوابها.	١٤١
• إصلاح ذات البين.	١٤٦
• تداعي الأمم على المسلمين.	١٥١

المقدّمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان، ومنحه من الهدى ما يمكّنه من خلافته في هذه الأرض، وإقامة الحق والعدل والسلام، وبعد:

فإنه لمن دواعي الخير أن يقبل طلابنا على كتاب ربهم جلّ وعلا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وأن يرغبوا في سنّة رسولهم ﷺ فيتمسكوا بها لكي لا يضلوا. وندعو الله تعالى أن يكون مقرر (القرآن الكريم والسنّة النبوية) الذي بين أيدي طلابنا عوناً لهم على تحقيق رغباتهم وتسهيل مهمتهم وتحصيل مبتغاهم.

ويتكون هذا الكتاب من بابين:

الأول: في القرآن الكريم وعلومه، ويشتمل على الوحي والقراءات القرآنية والتجويد والتفسير والإعجاز البياني والعلمي للقرآن الكريم، مع بعض القصص القرآني. وختم هذا الباب بتفسير سورتي الحشر، والحجرات.

أما الباب الثاني: فهو السنّة النبوية الشريفة ويشتمل على: مفهوم السنّة وأنواعها ودوافع اهتمام المسلمين بها وتدوينها وبعض علوم الحديث الشريف، ومجموعة من البحوث المتعلقة بالحديث الشريف. وقد ختم الباب بدراسة متعمقة لطائفة من أحاديث الرسول ﷺ.

وقد حرصنا ونحن نتناول المادة العلمية في هذا الكتاب على أن نقدمها لطلابنا الأعزاء بأسلوب سهل ميسر، ولغة فصيحة، مع تعزيز ذلك بألوان متعددة من الأنشطة التي تشجع الطلبة على المشاركة الإيجابية الفاعلة؛ حتى تنشط نفوسهم وتزداد لديهم الدافعية للتعلم.

ولتعزيز عملية التعلم لدى الطلاب، وتعميق قيم المادة واتجاهاتها في نفوسهم وسلوكهم، فقد ثرَّينا الكتاب بأساليب متعددة ومتنوعة من التقويم، اشتملت على فقرات تطبيقية، وكتابة بحوث وتقارير، ونماذج مختارة من النصوص التي يقوم الطالب بدراستها دراسة ذاتية، إضافة إلى استعمال مختلف أنواع الأسئلة: المقالية منها والموضوعية.

وإدراكاً منا أنه ما من جهد بشري، إلا وهو محكوم بالنقص وعدم الكمال، فإننا نهيب بزملائنا المعلمين وكل المهتمين ألا يضنوا علينا بملحوظاتهم واقتراحاتهم حتى نتلافى النقص في الطبعات القادمة إن شاء الله تعالى.

والله ولي التوفيق

المؤلفــون

الباب الأول

القرآن الكريم وعلومه

الوحـي

قـال تعـالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (١)

تقرر الآية الكريمة أنّ الوحي هو وسيلة الاتصال بين الله تعالى وبين أنبيائه. فما الوحي؟ وما صوره؟ وما أنواعه؟

معنى الوحي:

الوحي معناه في اللغة: الإعلام في خفاءٍ وسرعة. يقال: أوحيتُ إليه: أي كلّمته خفية، فلا يعلم بذلك أحدٌ غيره.

والوحي في الشرع: إعلام الله تعالى إلى نبي من أنبيائه. قال تعالى: (**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) (٢).

ويطلق الوحي أيضًا على كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه. والوحي من مسائل العقيدة، والإيمان به واجب؛ لأنه ثابت بنص القرآن الكريم كما عرفت.

صور الوحي:

بيّن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة صورًا كثيرة للوحي، ومن ذلك:

١- إرسال ملَك الوحي جبريل عليه السلام، فيتمثّل للنبي ﷺ رجلاً فيكلمه فيعي عنه ما يقول. وقد جاء

١- الآية ٥١ من سورة الشورى.

٢- الآية ٣ من سورة الشورى.

على صورة أعرابي شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، والرسول ﷺ بين أصحابه، فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة.

٢- ما يكون مثل صلصلة الجرس، ويرافقه أحيانًا دويٌّ كدويّ النحل، وهو أشده على رسول الله ﷺ، يصحبه العرق الشديد، وتعتريه حالة خاصة به.

٣- تكليم الله تعالى للرسول ﷺ من وراء حجاب، كما حصل مع موسى عليه السلام، وما حصل أيضًا مع رسول الله ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج. وإليه أشار قوله تعالى: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ**﴾ [١].

نشـــاط:

اقرأ الحديثين الآتيين، وبيّن صور الوحي التي أشارا إليها:

- (إنّ روح القدس نفث في روعي: لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها) [٢].
- (أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح) [٣].

أنواع الوحي:

الوحي المنزّل على رسول الله ﷺ نوعان:

١- القرآن الكريم:

وهو الوحي المنزّل لفظًا ومعنىً من عند الله تعالى بوساطة الملك جبريل عليه السلام،

١- الآيات ٥ إلى ١٠ من سورة النجم.

٢- رواه أبو نعيم و الطبراني،و صححه الحاكم.

٣- رواه البخاري.

وليس لرسول الله ﷺ فيه إلا التلقي والتبليغ، وليس لجبريل عليه السلام إلا نقله وتوصيله إلى رسول الله ﷺ. ولم ينزل القرآن الكريم إلا بصورة واحدة وهي بوساطة ملك الوحي جبريل عليه السلام. قال تعالى: **(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا)** [١].

٢- السنة النبوية:

وهي وحيٌ أيضًا، ومعناها من الله تعالى، لكنّ لفظها من عند رسول الله ﷺ. وقد تكون السنة قولية أو فعلية أو تقريرية، وقد يأتي الوحي بالسنة عن طريق الإلهام والمنام والإلقاء في القلب، وتأتي كذلك عن طريق تكليم جبريل للرسول ﷺ. قال تعالى: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)** [٢].

إنّ جميع صور الوحي وأنواعه ثابتة بنص القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ، وهي حجة على الناس، يجب عليهم الإيمان بها والعمل بما جاءت به من قرآن وسنة؛ حتى تستقيم حياتهم، ويرضى عنهم ربهم فينالوا بذلك عزّ الدنيا وسعادة الآخرة.

١- الآية ٧ من سورة الشورى.

٢- الآيتان ٣و٤ من سورة النجم.

التقـويـــم

١– ما معنى الوحي في اللغة؟

٢– ما معنى الوحي في الاصطلاح الشرعي؟

٣– اذكر آية تثبت نزول الوحي على الرسول ﷺ.

٤– ما حكم من أنكر الوحي و لم يؤمن به؟

٥– عدّد صور الوحي التي نزلت على رسول الله ﷺ.

٦– اذكر دليلاً على كلٍّ من صور الوحي الآتية:

– الإلقاء في الروع.

– الرؤيا الصالحة.

– تكليم ملك الوحي للرسول ﷺ.

٧– ما صورة الوحي التي أشار إليها قوله تعالى: (**مِن وَرَآىء حِجَابٍ**)؟

٨– هل رأى الصحابة جبريل عليه السلام؟ وكيف؟

٩– كيف كلّم الله تعالى موسى عليه السلام؟

١٠– ما صورة الوحي التي تلقاها الرسول ﷺ بعد عروجه إلى السماوات العلى؟

١١– يمتاز القرآن الكريم على السنة النبوية بميزة تتعلق بلفظه ومعناه. اذكرها.

١٢– ما أشد صور الوحي على الرسول ﷺ؟

١٣– أشر إلى الإجابة الصحيحة لكل من الفقرات الآتية:

– السنة الموحى بها من عند الله تعالى هي السنة:

أ– القولية. ب– العملية.

ج– التقريرية. د– جميع ما ذكر.

– المقصود من قوله تعالى: (**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**) بحق الملك جبريل هو:

أ– كان قريبًا من الله سبحانه وتعالى. ب– كان قريبًا من الرسول ﷺ.

ج– كناية عن سرعة تبليغه القرآن الكريم. د– إشارة إلى طول قامته.

– ظاهرة الوحي تتميز بأنها:

أ– خاصة بالقرآن الكريم.

ب– تتضمن القرآن والسنة.

ج– تخص ما كان من السنة تقريرًا.

د– تعم القرآن والسنة في جميع صورها.

النشـــاط:

اقرأ النص الآتي، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم) حول ظاهرة الوحي: لقد عجبوا أن يكون إنسانٌ يرى الملائكة عيانًا ويكلّمهم جهارًا، بل عجبوا أن يكون في الدنيا خلقٌ لا يرونه بأعينهم وصوتٌ لا يسمعونه بآذانهم، فقالوا: كيف يرى محمد ما لا نرى؟ ويسمع ما لا نسمع؟ إننا نفهم أنه لو ساغ مثل هذا العجب في عصور الجاهلية الأولى ما كان ليسوغ اليوم، وقد ملئت الأرض بالآيات العلمية التي تفسّر لعقولنا تلك الحقائق الغيبية.

وإنّ من أقرب هذه الآيات إلى متناول الجمهور آية الهاتف (التليفون) فقد أصبح الرجلان يكون أحدهما في أقصى المشرق، والآخر في أقصى المغرب، ثم يتخاطبان ويتراءيان من حيث لا يرى الجالسون في مجلس التخاطب شيئًا، ولا يسمعون إلا أزيزًا كدويّ النحل في صفة الوحي.

فإن كانوا يريدون آية علمية أوضح من هذه تمثل لهم الوحي تمثيلاً، وتريهم أنّ اتصال النفس الإنسانية بقوة أعلى منها قد يحدث، وينفث فيها معلومات لم تكن مخزونة في العقل ولا في الحس قبل ذلك، فها قد أراهم الله تعالى الآية العجيبة في التنويم المغناطيسي. بيد أنّ بعدًا شاسعًا بين هذا الوحي النبوي، ووحي الناس بعضهم لبعض.

الأسئلة:

١– اختر عنوانًا مناسبًا للنص.

٢– لماذا ينكر المؤلف على بعض الناس في أيامنا المعاصرة كفرهم بالوحي؟

٣– ما الدليل الأول الذي ساقه المؤلف لإمكانية ظاهرة الوحي؟

٤– علام تدل ظاهرة التنويم المغناطيسي؟

القراءات القرآنية

قال تعالى:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [1].

كان جبريل عليه السلام يقرأ ما ينزل من الآيات على رسول الله ﷺ، فيحفظها النبي كما نزلت، ويعلّمها أصحابه رضوان الله عليهم. وقد صحّ أنّ جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عارضه به مرتين.

ونقلت جموع الصحابة القرآن الكريم بألفاظه وكيفية قراءته إلى جيل التابعين نقلاً صحيحًا متواترًا، وكذلك فعل كل جيل مع من بعده حتى وصل إلينا هذا الكتاب الكريم قرآنًا متلوًا مسموعًا، ومدونًا مكتوبًا، محفوظًا بحفظ الله تبارك وتعالى. وكان القرآن الكريم يراعي أحوال العرب ولهجاتهم، وطرائقهم في نطق الحروف والكلمات، ولذا فقد أنزله الله تعالى على سبعة أحرف –أي أوجه– تيسيرًا على الناس، وتسهيلاً عليهم. قال رسول الله ﷺ: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه)) [2].

وأخذ الصحابة القرآن الكريم من رسول الله ﷺ تبعًا للغاتهم ولهجاتهم، وقرأه بعضهم بحروفٍ قد تختلف عن قراءة غيره في التخفيف والتشديد، وحملوا ذلك حين تفرقوا في البلاد إلى تلاميذهم حتى وصل الأمر إلى الأئمة المتخصصين في حفظ القراءات المروية عن رسول الله ﷺ روايةً صحيحة متواترة، فنشأ حينئذ ما سُمي **بعلم القراءات**، وصارت له كتبه وشيوخه ومدوناته.

١– الآيات ١٦ – ١٨ من سورة القيامة.

٢– متفق عليه.

فما المراد بالقراءات؟ وما شروط القراءة الصحيحة؟ وكم عددها؟ وما حكمة تعددها؟

معنى القراءات:

القراءات هي اختلاف ألفاظ القرآن الكريم في الحروف، وكيفية النطق بها، من تخفيفٍ وتشديدٍ وغيرهما.

شروط القراءة الصحيحة:

يشترط علماء القراءات ثلاثة شروط لصحة القراءة التي يُقرأ بها كتاب الله تعالى، وهي:

١- أن تكون موافقةً لرسم المصحف الشريف:

فقد أجمعت الأمة على اعتماد الرسم القرآني المكتوب في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، فكل قراءة يجب ألّا تخرج عن رسم الآيات المكتوبة في المصحف الشريف.

٢- أن يتم نقلها بالتواتر:

فقراءة القرآن الكريم وحيٌ من الله تعالى، تلقاه رسول الله ﷺ من جبريل، وعلّمه جموع الصحابة الكرام، ونقله عنهم جمعٌ غفيرٌ من التابعين العدول الثقات، ونقل ذلك عنهم جمعٌ غفيرٌ آخر من تابعي التابعين كلهم عدول ثقات ... وهكذا، وهذا هو التواتر المطلوب في القراءة الصحيحة.

٣- أن توافق اللغة العربية:

فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية، وقراءته يجب أن تتفق مع هذه اللغة في أصواتها، وتركيب حروفها، وأوزانها. وكل قراءة لا تتفق معها، أو تخالفها في وجه من الوجوه، لا تُعد من القراءات الصحيحة المعتمدة.

أشهر القراء:

كثر عدد القراء الذين تفرغوا لتعلم قراءة القرآن الكريم وتعليمها، وبذلك كثرت القراءات الصحيحة أيضًا، واختلف العلماء في عددها، وذكر بعضهم أنه يصعب حصرها.

ولكن اشتهر من هؤلاء القراء سبعة، واشتهرت كذلك قراءتهم، وجميعهم من رجال القرن الثاني الهجري، وعاشوا في عواصم العلم والمعرفة آنذاك: مكة والمدينة والكوفة، وتلقوا فيها القراءة، وقد عُرفوا بين الناس بالعلم والورع والاستقامة والخلق الكريم، وكانوا من المعمّرين، فأتيح لهم أن يقرئوا الناس القرآن الكريم مدة طويلة، وتخرّجت على أيديهم أجيالٌ من القراء. فمن هم القراء السبعة؟

القراء السبعة:

في آخر عهد التابعين اشتهر أئمة سبعة حازوا ثقة العلماء والقراء في مختلف الأمصار، وإليهم تنسب القراءات السبع. وهم: نافع، وعاصم، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن كثير، وحمزة بن حبيب، وعلي بن حمزة.

وكان لهؤلاء تلامذة كثيرون، اشتهر منهم حفص الذي قرأ على عاصم، وورش الذي قرأ على نافع رحمهم الله تعالى جميعًا.

حكمة تعدد القراءات:

تتلخص الحكمة في كثرة القراءات المنقولة عن رسول الله ﷺ أنها تيسّر على الناس تلاوة القرآن الكريم، فلا يقعون في الضيق والحرج إذا التزموا بلهجة واحدة، وفي هذا توسعة عليهم ورحمة بهم.

فقد علم رسول الله ﷺ أن في أمته اختلافًا في قدراتهم، واختلافًا في لهجاتهم، فربما لا يقدر بعض الناس على النطق بغير لهجته التي اعتادها، فطلب من ربه التخفيف على أمته فاستجاب الله تعالى له، وأنزل القرآن الكريم على قراءات متعددة.

أمثلة على القراءات:

قد تفيد كل قراءة من القراءات فائدة زائدة ليست في غيرها، كما في الآيات الكريمة الآتية:

١- قال تعالى: (مالك يوم الدين)، ويمكن أن تقرأ (ملِك يوم الدين).

٢- قال تعالى: (ولا تقربوهنّ حتى يطْهُرْنَ)، ويمكن أن تقرأ (ولا تقربوهنّ حتى يطَّهَّرْنَ).

٣- قال تعالى: (يخادعون الله والذين آمنوا)، ويمكن أن تقرأ (يخدعون الله والذين آمنوا).

نشـــاط:

استنتج الفائدة من اختلاف القراءات في كل مثال من الأمثلة السابقة.

التقـويـــم

١– ما معنى قولنا: كان جبريل عليه السلام يعارض النبي ﷺ بالقرآن مرة كل عام؟

٢– كيف يكون نقل قراءة القرآن الكريم متواترًا؟

٣– ماذا نتج عن مراعاة القرآن الكريم لأحوال العرب ولهجاتهم؟

٤– بيّن معنى القراءات.

٥– اذكر شروط القراءة الصحيحة للقرآن الكريم.

٦– ما الرسم المعتمد للقرآن الكريم؟

٧– ما حكم القراءة التي تخالف وجهًا من وجوه اللغة العربية؟

٨– اذكر أسماء ثلاثة من القراء السبعة المشهورين.

٩– تميّز القراء السبعة بصفات. اذكر اثنتين منها.

١٠– سمّ أشهر تلميذين من تلاميذ القراء السبعة.

١١– ما الحكمة من تعدد القراءات المنقولة عن رسول الله ﷺ؟

١٢– هل يجوز للمسلم أن يقرأ القرآن الكريم حسبما يريد؟ ولماذا؟

التجـويـد

لقد اعتنى المسلمون بتلاوة القرآن الكريم وتجويده، ووضعوا له القواعد، وتعلموا القراءات المنقولة عن رسول الله ﷺ نقلاً متواترًا، وتخصص بعضهم في التجويد وأحكامه، ونشأ على أيديهم علم خاص بهذا الجانب وهو علم التجويد.

فما التجويد؟ وما موضوعه؟ وما حكم تعلمه وتعليمه؟

تعريف التجويد:

التجويد في اللغة معناه: الإجادة والتحسين.

أما في الاصطلاح فيعرّف التجويد بأنه: إتقان النطق بحروف القرآن وكلماته، ومراعاة القواعد الخاصة بذلك.

والتجويد علم له قواعده التي تعتمد إخراج الحرف من مخرجه، مع مراعاة صلة كل حرف بما قبله، وما بعده، وأداء ذلك بكيفية معينة، ولذا فإنه يحتاج إلى الممارسة والتدريب، بقدر حاجته إلى الدراسة والمعرفة النظرية.

قال ابن الجزري أحد علماء التجويد: ((ولا أعلم سببًا لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتشديد مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن))[1]. وقاعدته ترجع إلى كيفية الوقوف والإمالة، والإدغام وأحكام الهمزة، والترقيق والتفخيم، ومخارج الحروف.

موضوع علم التجويد:

موضوع علم التجويد كما عرفت مما سبق: حروف القرآن الكريم وكلماته، وكيفية التلفظ بها، وعلاقة كل منها بما قبله وما بعده، ولذا فإنه يتناول موضوعات عديدة منها:

- مخارج الحروف.
- أحكام النون الساكنه والتنوين.
- أحكام الراء.
- أحكام الوقف.
- المدود بأنواعها.
- أحكام الميم الساكنة.
- أحكام القلقلة.

١- النشر في القراءات العشر، ج١، ص٢١٣.

مراتب التجويد:

وللتجويد مراتب ثلاث تصح بها القراءة وهي:

- التحقيق: وتكون القراءة تحقيقًا عندما يعطي القارىء كل حرف حقه من النطق به، على ماقرره العلماء، مع الترتيل بتؤدة واطمئنان.
- الحدر: وتكون القراءة حدرًا عندما يسرع القارئ في قراءته، مع مراعاة شروط الأداء الصحيحة، من دون إخلال في لفظ الحروف وأحكام التلاوة.
- التدوير: وهو التوسط في القراءة بين التحقيق والحدر.

حكم تعلم التجويد:

كانت قراءة الرسول ﷺ للقرآن الكريم قراءة تشبع فيها الحركات، وتستبين فيها الحروف، وتظهر صفاتها، وتعطى حقها، وترتب فيها كلمات القرآن ترتيبًا لطيفًا على أكمل هيئة وأحسن صورة، مع الترسل والتؤدة والاطمئنان.

مما سبق ذهب العلماء إلى وجوب تعلم قراءة القرآن الكريم وتجويده، وذلك بإخراج الحروف من مخارجها، وترتيله ترتيلاً حسنًا واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: (وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً) [1].

وأما حسن الصوت فليس شرطًا في القراءة، وإنما يستحب تحسين الصوت بالقرآن ليكون أشد تأثيرًا في القلوب، وأرق للسامعين، وأدعى إلى الإنصات وحسن الاستماع حتى قال بعضهم: إذا لم يكن القارئ حسن الصوت بطبعه، فليحسّنه ما استطاع. ودليل ذلك قوله ﷺ: (**زيّنوا القرآن بأصواتكم**) [2].

اللحن في القرآن:

تعد القراءة بغير تجويد لحنًا في قراءة القرآن الكريم. فما اللحن؟ وما حكمه؟

اللحن: خلل يطرأ على الألفاظ فيغيّر بعض حروفها، أو حركاتها، أو أصواتها، فإذا كان الخلل مما يعرفه علماء التجويد وغيرهم كالخطأ في نطق الحروف أو حركاتها أو إبدال حرف بآخر، فإنه يوصف بأنه: (لحن جلي) وحكمه أنه يحرم على من يقرأ القرآن الكريم أن يتعمد اللحن فيه، لأنه تغيير في ألفاظ

١- الآية ٤ من سورة المزمل.

٢- رواه أحمد.

القرآن الكريم ومعانيه. ومثله القراءة بالألحان التي تُخرج اللفظ عن صيغته، بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدوده، أو مد مقصوره، لأنه عدول بالقرآن الكريم عن نهجه القويم، إلى الاعوجاج المنهي عنه، قال تعالى: (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ)[1].

وإذا كان اللحن يخل باللفظ إخلالاً لا يعرفه إلا علماء القراءة، والمختصون في التجويد، سمي: (باللحن الخفي) كمن يقرأ القرآن من دون مراعاة أحكام التجويد من إدغام وإخفاء وتفخيم وغير ذلك. وحكم هذا النوع من اللحن أنه مكروه.

نشاط:

اقرأ الحديث الشريف الآتي وأجب عن الأسئلة الآتية:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لاحسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار). متفق عليه

- ما معنى متفق عليه؟
- من المقصودان في قولنا: رضي الله عنهما؟
- وضِّح معنى قول الرسول ﷺ يقوم به آناء الليل وآناء النهار.

١- الآية ٢٨ من سورة الزمر.

التقـويـــم

١- ما معنى التجويد لغة واصطلاحًا؟

٢- لماذا يحتاج تعلم التجويد إلى الممارسة والتدريب؟

٣- اذكر ثلاثة من الموضوعات التي يتناولها علم التجويد.

٤- وضِّح معنى كل من المصطلحات الآتية في علم التجويد: التحقيق ، الحدر ، التدوير.

٥- ما حكم تحسين الصوت بتلاوة القرآن الكريم؟

٦- ما حكم كل من اللحن الخفي، واللحن الجلي في التلاوة؟

التفسير

قال تعالى: كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (١).

وقال تعالى: وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢).

بينت الآيتان الكريمتان أن القرآن كتاب مبارك أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ ليبينه للناس، ويعلمهم آياته، فيدركوا مقاصده، ويفهموا معانيه، ويتدبروا آياته، ويصلحوا به أمرهم، ويسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

وقد كان العرب الذين نزل عليهم القرآن الكريم على الرغم من بلاغتهم وفصاحتهم بحاجة إلى شرح من رسول الله ﷺ لبعض أحكام القرآن، وبيان مجمله، وتوضيح مقاصده. فكان رسول الله ﷺ يبين لهم ما خفي عليهم، وجاء جيل التابعين، فكان في حاجة أشد إلى مزيد من التوضيح والشرح والبيان، ومن هنا نشأ العلم الذي عني بتوضيح القرآن الكريم، وبيان مجمله، وشرح آياته، وعُرف (بعلم التفسير).

معنى التفسير:

التفسير في اللغة معناه: الإيضاح والبيان، والكشف، ولذا يقال: فسَرتُ الشيء وفسّرته: إذا بينته.

وفي الاصطلاح: هو علم يُفهم به كتاب الله تعالى، ببيان معاني ألفاظه وشرح آياته، وإظهار ما تضمن من أحكام وحكم.

نشأة علم التفسير:

لم يكن القرآن الكريم جميعه في متناول العرب جميعا، يفهمون مفرداته وتراكيبه، ويدركون أساليبه في التعبير، ويعرفون المراد من عامه ومجمله، فبعض ألفاظه يحتاج إلى معلومات خاصة كلفظة الصلاة والزكاة والجهاد، لأنها اكتسبت معنى شرعيًا جديدًا لم يكن مألوفا عند العرب. وبعض آياته يحتاج

١- الآية ٢٩ من سورة ص.

٢- الآية ٤٤ من سورة النحل.

فهمها إلى معرفة أسباب النزول، وبعضها محكمة واضحة المعنى في حين أن منها آيات متشابهة تخفى معانيها على كثير من الناس.

حتى أصحاب رسول الله ﷺ على الرغم من ملازمتهم للرسول ﷺ، ومعرفتهم بأسباب نزول الآيات وأحوالها، احتاج كثير منهم إلى تفسير آيات من القرآن الكريم، فكانوا يلجأون إلى رسول الله ﷺ فيوضِّح لهم ما خفي عليهم، وكان بعضهم يتولى هذه المهمة لمن يسأل عن شيء منها. فاشتهر منهم في التفسير: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم جميعا.

وجاء التابعون، فازدادت حاجتهم إلى التفسير لفهم القرآن الكريم والعمل بأحكامه. ونشط عدد منهم في رواية ما بلغه من تفسير رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة في ذلك. وزاد التابعون عليه ما اقتضاه توسع الحياة، ودخول الأمم الأخرى في الإسلام. ومن أشهر مفسري التابعين: مجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وقتادة. وكان كل ذلك يتم عن طريق التبليغ الشفوي والنقل. ولكن هل بقي التفسير يُنقل عن طريق الرواية والمشافهة؟

تدوين التفسير:

جاء بعد التابعين علماء رحلوا إلى الأقطار الإسلامية وعواصم العلم المتعددة، وجمعوا ما قيل في التفسير، ودوّنوه، وكان التفسير يجمع مع الحديث الشريف، فيُكتب إلى جانبه، ثم كانت الخطوة التالية التي انفصل فيها التفسير عن الحديث الشريف، وأصبح علمًا قائمًا بنفسه، وأُلفت فيه الكتب المستقلة.

وكانت الطريقة في ذلك هي ذكر الآية الكريمة، وتدوين ما روي في تفسيرها من الحديث الشريف، وأقوال الصحابة والتابعين على حسب ترتيب المصحف الشريف. وقد سمي هذا (التفسير بالمأثور).

ومن أشهر كتب التفسير بالمأثور: تفسير الطبري وابن كثير.

ثم تتابع علماء التفسير في القرن الثالث الهجري، يؤلفون الكتب في ذلك، ويدوِّنون ما توصلوا إليه من اجتهاد في تفسير كتاب الله تعالى، وأصبحت لهم آراء خاصة بهم، وسمي هذا النوع من التفسير: (التفسير بالرأي) ومن أشهر كتب التفسير بالرأي: تفسير الرازي وتفسير البيضاوي.

مصادر التفسير:

يرجع المفسر لآيات القرآن الكريم إلى مصادر عدة أهمها:

١- القرآن الكريم:

ومثاله قوله تعالى: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ) [١]. بينتها الآية الكريمة في سورة الأعراف: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ) [٢].

٢- السنة النبوية الشريفة:

ومثال ذلك: تفسير النبي ﷺ لقوله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) [٣] بقوله ﷺ: (**ألا إنّ القوة الرمي**) [٤].

٣- اللغة لعربية:

كان الصحابة رضي الله عنهم يعتمدون كثيرًا على أشعار العرب وكلامهم في فهم ما يصعب عليهم من ألفاظ القرآن الكريم وعباراته. فمثلاً قوله تعالى: (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ) [٥]. تفسر كلمة (ضيزى) بمعناها في اللغة العربية وهو (الظلم والجور).

٤- الاجتهاد:

وهو يقوم على تفسير الآيات الكريمة بعد إعمال الجهد في فهم الألفاظ العربية ومعانيها، وأساليب العرب في التعبير، والوقوف على أسباب النزول، والتفسير المأثور.

شـروط المفسـر:

ينبغي أن يتوافر فيمن يقوم على تفسير كتاب الله تعالى شروط منها:

١- أن يكون تقيًا ورعًا، صحيح العقيدة، متحليًا بأخلاق القرآن الكريم وآدابه، بعيدًا عن الهوى، والتعصب.

١- الآية ٣٧ من سورة البقرة.
٢- الآية ٢٣ من سورة الأعراف.
٣- الآية ٦٠ من سورة الأنفال.
٤- متفق عليه.
٥- الآية ٢٢ من سورة النجم.

٢- أن يكون ذا قدرة عقلية تمكنه من فهم معاني القرآن الكريم، واستنباط أحكامه، والترجيح عند التعارض، والجمع بين الأقوال حين الاختلاف.

٣- أن يتقن قدرًا مناسبًا من العلوم الضرورية للمفسر، ومنها:

- علوم القرآن الكريم مثل: أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.
- السنة النبوية الشريفة.
- فتاوى الصحابة وأقوالهم.
- اللغة العربية وعلومها وآدابها.
- علم أصول الفقه وقواعده.

إن علم التفسير علم جليل القدر، عظيم الخطر، يتناول في موضوعه كتاب الله تعالى ويجعل من ثماره تقويم السلوك، وتهذيب النفوس، وتحقيق السعادة في الدارين للأفراد والمجتمعات. ومن هنا كان لابد فيمن يتصدى لتفسير الكتاب الكريم أن يكون على درجة عالية من العلم، والفهم والتقوى.

نشاط:

جاء في تفسير قول الله تعالى: (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ)[١].

ما يأتي:

ففي تفسير ابن كثير قوله: (قال السُدِّي: ختم الله أي طبع الله، وقال قتادة في هذه الآية: استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون... إلخ. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ : (**إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه**).

وفي تفسير الزمخشري، قال: (فإن قلت: لم أسند الختم إلى الله تعالى، وإسناده إليه يدل على فعل القبيح.... بدليل: (**وما أنا بظلام للعبيد**)... إلخ ثم أول إسناد الختم إلى الله بأن الكلام استعارة أو مجاز، على معنى أن الشيطان هو الخاتم أو الكافر، وأسند إلى الله تعالى لأنه هو الذي أقدره ومكنه).

- بيّن نوع كل من التفسيرين السابقين للآية.

١- الآية ٧ من سورة البقرة.

التقـويـــم

١- ما معنى قوله تعالى: (لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ)؟

٢- ما معنى التفسير لغةً واصطلاحًا؟

٣- لماذا كان العرب يفهمون القرآن الكريم بدرجات متفاوتة؟

٤- سمّ ثلاثة من الصحابة، وثلاثة من التابعين اشتهروا في علم التفسير.

٥- متى اشتدت حاجة الناس إلى التفسير؟

٦- كيف انتقل التفسير من عصر الرواية إلى عصر التدوين؟

٧- ما معنى التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي؟

٨- سمّ كتابين اعتمدا على التفسير بالمأثور، وآخرين اعتمدا على التفسير بالرأي.

٩- عدّد مصادر التفسير.

١٠- مثّل على تفسير القرآن الكريم بالسنة الشريفة.

١١- هات مثالاً على تفسير القرآن بالقرآن.

١٢- اذكر الشروط التي ينبغي أن تتوافر في المفسر.

١٣- اختر الجواب الصحيح لكل فقرة مما يأتي:

- **يشترط في المفسر أن يكون (بعيدًا عن الهوى والتعصب) وذلك حتى:**

أ- يكون قادرًا على الاجتهاد. ب- يكون تفسيره صحيحا.

ج- لا يتحيز في تفسيره. د- يكون قوي الحجة.

- **معرفة أسباب النزول تساعد المفسر على:**

أ- فهم معاني الآيات الكريمة. ب- معرفة الناسخ والمنسوخ.

ج- الترجيح بين الروايات. د - جميع ما ذكر صحيح.

- **اشتهر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في التفسير، ولذا سمي:**

أ- أسد الله ورسوله. ب- حبر الأمة.

ج- الشيخ المجاهد. د- أمين الأمة.

إعجاز القرآن الكريم

تعريف الإعجاز:

هو أن تضعف القدرة الإنسانية عن محاولة الإتيان بمثيل للمتحدى به، واستمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه.

والمراد من الإعجاز القرآني هنا: إثبات صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب وغيرهم عن معارضته في معجزته الخالدة – وهي القرآن – واستمرار هذا العجز إلى أن تقوم الساعة.

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة، ومنها:

- أسلوبه الفصيح، وبيانه البليغ، ونظمه البديع، وتأليفه الذي جاء مخالفًا لجميع وجوه النظم، والتأليف المعتاد في كلام العرب. ومباينًا لأساليبهم في التخاطب.
- إخباره عن أحوال الأمم السابقة، وقصص النبيين، وموقف أقوامهم من دعواتهم، وما وصلوا إليه في الدنيا، بأسلوب يجعل القارئ له كأنه حاضر يشاهد الأحداث، ويراقب الأحوال. قال تعالى: (وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) [1].
- إخباره عن المستقبل وما سيكون حال بعض المعاصرين من إيمان وكفر، وهزيمة وانتصار، فوقع كما أخبر. ومثل ذلك إخباره عن النوايا الكامنة في صدور بعض الناس التي لم يظهروا أحدًا عليها، فيخبر عنها القرآن الكريم ويكشفها فيقر هؤلاء له بالصدق ويعترفون أنه الحق ومن ذلك قوله تعالى: (سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ) [2]. وقوله: (سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) [3].
- اشتماله على شريعة محكمة، وأنظمة دقيقة، وأحكام بديعة تعالج مشكلات الإنسان، وتحفظ له حقوقه، وتحقق له السعادة.
- ذكره لحقائق علمية، وظواهر كونية، كشف عنها العلم التجريبي و لم تعرفها البشرية إلا في العصور الحديثة، إضافة إلى عدم تعارض مكتشفات العلم وحقائقه مع ما جاء به القرآن الكريم.

١– الآية ٤٤ من سورة آل عمران.

٢– الآية ١٦ من سورة القلم.

٣– الآية ٣ من سورة المسد.

وسنقصر الحديث في هذا الكتاب على جانبين من جوانب هذا الإعجاز وهما: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي.

أولا: الإعجاز البياني:

أجمع العلماء على أن القرآن الكريم معجز في بيانه، وأنه لا يستطيع أحد من البشر الإتيان بمثله، فما المقصود بالإعجاز البياني؟

يقصد بالإعجاز البياني للقرآن الكريم: ذلك النظم المتميز، المخالف لشعر العرب ونثرهم، إلى جانب فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وجودة نظمه، وما تضمنه من المزايا الظاهرة في فواتح سوره وخواتيمها، وما اشتمل عليه من خصائص فريدة. فما هذه الخصائص؟

خصائص أسلوب القرآن الكريم:

يتمثل الإعجاز البياني للقرآن الكريم بجملة من الخصائص منها:

١- الاقتصاد في اللفظ، مع الوفاء بحق المعنى، حتى إنه لو نزعت من آية من آياته لفظة، أو استبدلت بها أخرى، لاختل تركيبها، وضعف بيانها وفصاحتها. وهو كما وصفه الله تعالى في قوله سبحانه: (الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [١].

٢- توجيه خطابه لجميع الناس، بحيث يفهمه العامة والخاصة، العالم والمتعلم، الذكي والعادي، يحس الجميع بحلاوة أسلوبه، ويشعرون بروعته. قال الله تعالى: (وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ) [٢].

٣- إقناعه للعقل والقلب معا فأسلوب القرآن الكريم يخاطب العقل ويسوق الأدلة المقنعة له، ويخاطب القلب، ويحرك فيه المشاعر والأحاسيس، ويؤثر في الوجدان.

٤- جودة سبك آيات القرآن الكريم، وإحكام نظمه مما يشعر الدارس بأنه سبيكة واحدة، أو قطعة فنية رائعة، ويفصل من جانب ويوجز في جانب آخر، يُجمل تارة ويشرح تارة أخرى، ولا يملك المرء – إزاء ذلك – إلا أن يقر بعظمة هذا الكتاب الكريم وأنه من لدن عليم حكيم.

١- الآية ١ من سورة هود.

٢- الآية ١٧ من سورة القمر.

نشاط (١):

اقرأ الآيات الآتية: آيات النعيم، وآيات العذاب، ثم اكتب في كراستك الفرق بينهما من حيث التناسب بين اللفظ والمعنى:

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً). [١]

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ). [٢]

القرآن يتحدى العرب:

تحدى القرآن الكريم العرب وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة والبيان، أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولكنهم عجزوا عن ذلك، فتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثل سوره، ثم بسورة من مثله، ولكنهم عجزوا أيضا ولجأوا إلى الإنكار والتكذيب والعداء ثم القتال. قال تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [٣].

وهذا التحدي ليس خاصًا بالعرب وحدهم، في عصر الرسول ﷺ، بل هو تحدٍ لكل البشر إلى يوم القيامة.

شهادة الخصوم:

تأثر العرب بهذا الإعجاز للقرآن الكريم، وشهدوا له بعلوه في بيانه وبلاغته وخصائصه، ومن الأمثلة على ذلك شهادة الوليد بن المغيرة.

رُوي أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ، فقرأ الرسول عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه وقال: يا عم، إنّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، ليعطوه لك، فإنك أتيت محمدًا تطلبه مالا! فغضب الوليد، وقال: لقد علمت قريش إني أكثرها مالا. فقال له أبو جهل: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. فقال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئًا من هذا. ووالله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه [٤].

١- الآيات من ٢ - ٤ من سورة الغاشية.

٢- الآيات من ٨ - ١٠ من سورة الغاشية.

٣- الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

٤- رواه البيهقي.

من أمثلة الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

يُروى أن الأصمعي أحد علماء اللغة وفصحائها، خرج ذات يوم فسمع فتاة تنشد أبياتا رائعة من الشعر، فأعجب بتلك الأبيات، وهزت فيه النفس والقلب بجمال أسلوبها، وروعة بيانها، وفصاحة ألفاظها. فقال لها: قاتلك الله! ما أفصحك! فقالت له: ويحك! أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)[1].

ثم قالت له: فقد جمعت هذه الآية على وجازتها بين أمرين ونهيين، وخبرين، وبشارتين. قال الأصمعي: فأعجبت بفهمها وإدراكها، أكثر مما أعجبت بشعرها، فهي فتاة أعرابية صغيرة. لكنها واسعة العلم والفهم.

نشاط (٢):

اكتب في كراستك الأمرين، والنهيين، والخبرين، والبشارتين في هذه الآية الكريمة.

ثانيا- الإعجاز العلمي:

قال الله تعالى: (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ)[2].

تبين الآية الكريمة السابقة أن الله تعالى وعد في كتابه الكريم بأنه سيكشف للناس بعامة، وللعلماء بخاصة، الآيات المبثوثة في الكون الواسع، وفي النفس البشرية، لتكون دليلاً لهم على صدق رسالة محمد ﷺ، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله تعالى.

وقد تحقق وعد الله تعالى، فكلما تقدمت الكشوف العلمية في ميادين الحياة المختلفة ظهر للناس آيات باهرة في مخلوقات الله تعالى تدعوهم إلى الإيمان بربهم وخالقهم، وتكشف لهم عن معنى تحدثت عنه آيات القرآن الكريمة أو أشارت إليه، وبقيت تلك الآيات تؤول وتفسر على غير معناها الظاهر، فكان هذا نوعًا من إعجاز القرآن الكريم، وشاهدًا بأنه كلام الله تعالى، بما حوى من حقائق العلم التي جهلها الناس قرونًا عديدة.

١- الآية ٧ من سورة القصص.

٢- الآية ٥٣ من سورة فصلت.

أمثلة من السبق العلمي للقرآن الكريم:

الأمثلة كثيرة على ما جاء به القرآن الكريم من الحقائق العلمية والظواهر الكونية، والتي تثبت له السبق العلمي، والتقدم على البحث العلمي الحديث، نذكر منها مايأتي:

١- جريان الشمس:

أثبت العلم الحديث أن الشمس (ومعها مجموعتها الشمسية) تجري حول مركز مجرتنا (درب التبانة) بسرعة تقدر بحوالي ٢٢٠ كم في كل ثانية، وقد جاء ذلك مطابقًا لقوله تعالى: (**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**) [١].

٢- التمثيل الضوئي (الكلوروفيلي):

أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة العلمية التي لم يعرفها العلماء إلا في العصر الحديث؛ إذ وجدوا أن في أوراق النباتات مصانع خضراء صغيرة، هي التي تعطي النبات لونه الأخضر، وتصنع المواد الغذائية التي تتكون منها الحبوب والثمار وسائر أجزاء النبات، قال الله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٍ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرًا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا) [٢].

٣- الرياح لواقح:

قال الله تعالى: (وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسۡقَيۡنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ) [٣].

تشير الآية الكريمة إلى حقيقتين علميتين هما:

- الرياح عامل مهم في نقل حبوب اللقاح في أزهار النباتات ليتم بذلك عقد الثمار.
- الرياح تلقح السحاب(الغيوم) أي تسوق السحب موجبة التكهرب، وتلقي بها في أحضان السحب سالبة التكهرب، فيحدث البرق، والرعد، وينزل المطر.

وهناك العديد من الآيات الكريمة التي تشير إلى حقائق علمية كشفت حديثا، كالإخبار بأن الماء أصل الحياة، و أن اللبن يستخرج من بين الفرث والدم، وأن في البحر نوعين من الأمواج: موج بداخله، وموج فوق سطحه، وأن الإنسان يولد في ظلمات ثلاث، ويمر خلقه بأطوار متعددة، وأن الزوجية موجودة في النباتات الأرضية، وأن مواقع النجوم عظيمة، وغير ذلك مما تزخر به آيات القرآن الكريمة.

١- الآية ٣٨ من سورة يس.

٢- الآية ٩٩ من سورة الأنعام.

٣- الآية ٢٢ من سورة الحجر.

وكلها تقوم دليلاً على الإعجاز العلمي لهذا الكتاب الكريم، وتدل على أنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

القرآن كتاب هداية:

ومع أن تلك الإشارات الدقيقة إلى بعض العلوم الكونية، والحقائق العلمية، التي تضمنها كتاب الله تعالى، تعتبر وجهًا من وجوه إعجازه، ودليلاً على صدق نسبته إلى الحق تبارك وتعالى، فإنه يظل كتاب هداية وإرشاد، يعرِّف الناس بربهم، ويهديهم إلى دينه القويم، ويبين لهم لماذا خلقهم، وما دورهم في عمارة الأرض، وواجبهم في هذه الحياة الدنيا، وما المصير الذي ينتظرهم.

كما أنه كتاب تشريع يوضِّح الأحكام التي ينبغي أن يقيم الناس عليها حياتهم، وينظموا شؤونهم. قال الله تعالى: (إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [١].

والقرآن الكريم ليس كتابًا علميًا من العلوم الطبيعية أو الهندسية، أو الفلكية أو الطبية، ولكنه أشار في العديد من آياته إلى سنن الله تعالى في الخلق، وحقائق التكوين التي لها صلة بالعلوم السابقة، ولذلك فإنه لا يعقل أن تتعارض حقائق العلم مع آياته.

فالقرآن الكريم كلام الله تعالى، والكون عمله، وكلام الله تعالى وعمله لا يتناقضان أبدا، بل يصدق أحدهما الآخر، لأن مصدرهما واحد.

يقول (موريس بوكاي):((كيف أمكن لمحمد ﷺ أن يتناول قبل أربعة عشر قرنًا، حقائق علمية في القرآن الكريم لم يكتشفها إلا التقدم العلمي في القرون الحديثة، لو لم يكن هذا القرآن وحيًا منزلاً لا شك فيه ولا ارتياب في نصوصه)) [٢].

إن كل مافي هذا القرآن الكريم، من آيات بيّنة، ودلائل معجزة لتدعو الإنسان إلى الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، وما جاء به من الدين، ليحقق للإنسان السعادة في الدنيا، والنعيم في الآخرة، ويفوز برضوان الله تعالى وتقدير مجتمعه.

١- الآية ٩ من سورة الإسراء.

٢- عقيدة المسلم،عبد الحميد السائح.

التقـويـــم

١- بيّن معنى قولنا: (القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الخالدة).

٢- اذكر أربعة من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

٣- ما المقصود بالإعجاز البياني للقرآن الكريم؟

٤- ما المقصود بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم؟

٥- وضِّح ثلاثة من خصائص الأسلوب البياني لكتاب الله تعالى.

٦- ما الصفات التي وصف بها الوليد بن المغيرة القرآن الكريم؟

٧- اذكر قصة الفتاة الأعرابية مع الأصمعي.

٨- ما وجه الإعجاز القرآني الذي أشارت إليه قصة الفتاة مع الأصمعي؟

٩- لماذا يندر في مجتمعنا اليوم مثل هذه الفتاة في فهم القرآن الكريم وإعجازه؟

١٠- بماذا وعد الله تعالى عباده في قوله سبحانه: (سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ)؟

١١- ما الغاية التي أرادها الله تعالى من تضمين القرآن الكريم بعض الحقائق العلمية.

١٢- وضِّح كيف أن القرآن الكريم كتاب هداية، وليس كتابًا في العلوم الكونية.

١٣- ماذا تستنتج من قول (موريس بوكاي): كيف أمكن لمحمد ﷺ أن يتناول قبل أربعة عشر قرنًا حقائق علمية لم تكشف إلا حديثًا؟

١٤- ما الحقيقة العلمية التي أشار إليها قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ)؟

١٥- سبق القرآن الكريم العلم الحديث في تقرير جريان الشمس. اذكر الآية التي تدل على ذلك.

١٦- كشف القرآن الكريم عن وجود مصانع خضراء في أوراق النبات. وهي ما تسمى في علم النبات: (التمثيل الضوئي، الكوروفيلي). وضِّح ذلك.

١٧- تشير الآية الكريمة: (وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ) إلى حقيقتين علميتين، اذكرهما.

١٨- اختر الجواب الصحيح لكل مما يأتي:

- **معنى الإعجاز في اللغة العربية:**

أ- التأخر والتأني.
ب- التراخي والتمهل.
ج- الفوت والسبق.
د- الضعف والتخلف.

- **وجه الإعجاز في قوله تعالى:**(غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ)[1].

أ- بياني.
ب- غيبي.
ج- علمي.
د- تشريعي.

- **معنى كلمة (مُّدَّكِرٍ) في قوله تعالى:** (وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ)[2].

أ- معتبر، متعظ.
ب- مكذب، منكر.
ج- مقتدر.
د- متكبر.

١- الآيتان ٢ و ٣ من سورة الروم.

٢- الآية ١٧ من سورة القمر.

النشاط:

اقرأ وتأمل: تأثير القرآن في النفوس:

لقد اتفق زعماء قريش فيما بينهم ألا يستمعوا إلى القرآن الكريم، إلا أن نفرًا منهم وبخاصة كبراؤهم، كان يذهب خلسة ليستمع إلى الرسول ﷺ وهو يتلو القرآن الكريم في الصلاة.

فقد حدث أن خرج ليلة أبو سفيان بن حرب، وأبو جهل بن هشام، والأخنس بن شريق، ليستمعوا من رسول الله ﷺ دون أن يعلم أحدهم بخروج الآخر. فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا. ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فيأتون يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

وفي الصباح ذهب الأخنس بن شريق إلى بيت أبي جهل فقال: يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمد ﷺ؟ فقال: ما سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن ولا نصدق. (١)

الأسئلة:

١- ما الذي كان يدفع هؤلاء النفر إلى الاستماع للقرآن الكريم وهم مشركون؟

٢- ماذا كانوا يخشون من الاستماع للرسول ﷺ؟

٣- علام يدل جواب أبي جهل؟

٤- من أسلم من هؤلاء النفر؟ ومن منهم مات كافرا؟

١- ابن هشام ،السيرة النبوية ج١.

من قصص القرآن الكريم

قصة البقرة

هذه القصة حلقة من حلقات سيرة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام التي تتصف بالمخالفة وسوء الخُلُق، وقد عرضت سيرتهم في أكثر من عشرين سورة في القرآن الكريم، أما قصة البقرة فقد عرضت في سورة واحدة سميت سورة البقرة.

تذكر كتب التفسير أن رجلاً موسرًا من بني إسرائيل كان عقيمًا، وله أبناء أخ هم ورثته من بعد موته، ولكن هؤلاء الورثة استعجلوا أخذ ماله فقتلوه ليرثوه، وزيادة في الإجرام فقد وضعوا جثته بالقرب من قوم آخرين، واتهموهم بقتله، وطالبوهم بديته، فأنكروا التهمة وتخاصم الفريقان عند موسى عليه السلام، ليكشف القاتل، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يأمرهم بذبح بقرة، وبدل أن يمتثلوا للأمر الرباني أنكروا على موسى أن يبلغهم أمر ربهم واتهموه أنه يستهزئ بهم، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ) [1].

نشاط (١):

اقرأ الآية السابقة بتدبر وأجب عما يأتي:

١- هل تفهم من العبارة: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، أن المطلوب بقرة معينة؟

٢- ما معنى أعوذ بالله؟

٣- ما الجهل الذي نفاه موسى عن نفسه في هذه الآية؟

١- الآية ٦٧ من سورة البقرة.

لقد أجابهم موسى عليه السلام، وقدم إليهم الحل وهو أن يذبحوا بقرة من البقر، ولكنهم لم يستجيبوا للأمر، وأخذوا يتهربون من تنفيذ ما أُمروا به، وأخذوا يُلقون أسئلة على موسى عليه السلام لتعجيزه.

السؤال الثاني:

ثم سألوا موسى عليه السلام أن يطلب من ربه أن يبين البقرة المقصودة، وهذا تعنت شديد، كان سببًا في تشديد الله عليهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم). ومما يدل على سوء أدبهم في السؤال والخطاب أنهم قالوا لموسى عليه السلام: (ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ)، تأمل هذا الخطاب وهم أصحاب حاجة يبحثون عنها، وصاحب الحاجة يتلطف في السؤال والطلب حتى يحقق مبتغاه إن كان حريصًا على ذلك، ولكنهم كانوا على العكس من ذلك تماما كما رأيت.

وعلى الرغم من سوء أدبهم هذا مع ربهم ونبيهم، أجابهم الرب تبارك وتعالى على لسان نبيهم فقال سبحانه: (إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ [1] وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ) [2].

كان بوسع هؤلاء المجادلين المراوغين أن يذبحوا بعد سؤالهم هذا أي بقرة متوسطة العمر ويستجيبوا لأمر الله، ولكنهم استمروا في الجدال وكثرة السؤال، يشددون فيشدد الله عليهم، مع أن الله قال لهم: (فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ).

نشاط (٢):

اقرأ الآية السابقة بتدبر و أجب عما يأتي:

١- ما السؤال الأول الذي طرحه بنو إسرائيل على موسى عليه السلام في هذه القصة؟

٢- ما إجابة موسى عليه السلام عن السؤال الثاني؟

٣- ما المقصود بقوله: (عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ)؟

٤- اشرح قوله تعالى: (فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ).

١- البقرة الفارض: البقرة الهرمة المسنة .

٢- الآية ٦٨ من سورة البقرة.

السؤال الثالث:

لم يستجب اليهود للأمر الإلهي بذبح بقرة متوسطة العمر، بل استمروا في الجدال والسؤال، فسألوا عن لونها فأجابهم الله: (قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ)[1].

لقد نتج عن سؤالهم هذا وإجابتهم عليه أن المطلوب ليس بقرة متوسطة في عمرها فحسب، بل ينبغي أن تكون صفراء شديدة الصفرة ذات منظر جميل إذا نظر إليها الرائي امتلأت نفسه سرورا.

لكنهم هل اكتفوا بذلك واستجابوا للأمر الرباني؟ إنهم مازالوا يجادلون ويكثرون من السؤال رغبةً في التعجيز.

السؤال الرابع:

لقد كان سؤالهم الأخير والإجابة عنه في قوله تعالى: (قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ)[2].

لقد تكرر منهم سوء الأدب في كل سؤال بقولهم: ادع لنا ربك، ومع هذا فقد أجابهم الرب تبارك وتعالى عن كل سؤال وعن سؤالهم هذا، فحصر الأوصاف في بقرة واحدة بعينها، وقد كان بوسعهم لو تركوا مراوغتهم وجدالهم أن يذبحوا أي بقرة.

لقد ذكر أوصافًا أخرى غير العمر واللون بأنها ليست مذللة للحراثة والسقي، ولا عيب فيها، ولا يخالط لونها لون آخر، فماذا كانت النتيجة؟

لقد ترددوا بعد الحصول على هذه البقرة في ذبحها خشية أن يفتضح أمرهم، أو بخلاً بهذه البقرة المكلفة جهدا ومالا، والمال عند اليهود أغلى من الدماء والأعراض. ولكنهم في النهاية ذبحوها على كُره منهم. تأمل قوله تعالى: (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ).

١- الآية ٦٩ من سورة البقرة.

٢- الآيتان ٧٠ و٧١ من سورة البقرة.

المعجزة:

لقد حدثت بعد ذبح البقرة معجزة، إذ أمر الله تبارك وتعالى أن يُضرب القتيل المغدور الذي تنازعوا فيه وتبادلوا التهم من أجله، بعضو من أعضاء البقرة، فما أن ضربوه بذلك العضو إلا وقد قام حيًا ونطق باسم الذين قتلوه ثم رجع إلى الحال التي كان عليها. قال تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[1].

إنها القدرة الإلهية والمعجزة الربانية أن تقضي بإحياء القتيل بعضو منها. حقا إن هذه المعجزة قد أظهرت قدرة الخالق سبحانه في اختراع الأشياء وإحداثها من أضدادها ولا يكون هذا إلا لله وحده جلت قدرته وعزت عظمته إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

نشاط (٣):

اقرأ الآيتين السابقتين وأجب عما يأتي:

١- ما المقصود بقوله ادارأتم؟

٢- ما الشيء الذي كان يكتمه بنو إسرائيل؟

٣- كيف أظهر الله ما كانوا يكتمونه؟

أثر هذه المعجزة في نفس اليهود:

لقد شاهد اليهود بأم أعينهم هذه المعجزة، ورأوا كيف يُضرب الآدمي الميت بعضو حيوان ميت لا ينطق وهو حي، فإذا الآدمي ينطق باسم قاتله ويسقط على الأرض بقدرة الله تعالى.

فهل تأثروا بهذه المعجزة؟ وهل لانت قلوبهم إلى أمر الله وطاعته فأقبلوا على الطاعات وكفُّوا عن المعاصي؟ لنستمع إلى القرآن الكريم وهو يصف موقفهم، قال سبحانه: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[2].

١- الآيتان ٧٢ و٧٣ من سورة البقرة.

٢- الآية ٧٤ من سورة البقرة.

ما يستفاد من القصة:

١- ينبغي أن يتلقى الأمر الرباني بالانقياد والاستسلام، والخضوع والتنفيذ.

٢- الاستخفاف بالناس صفة مذمومة لا يليق بالمسلم أن يتصف بها.

٣- الرسل منزهون عن السخرية بالآخرين، لأن السخرية تدل على سفاهة وجهالة وهم معصومون عن ذلك.

٤- من استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه.

٥- الإسراف في حب المال والجشع، يورثان الهلاك والندم.

٦- التردد في تنفيذ الأمر الإلهي، يدل على ضعف إيمان صاحبه، وسوء خلقه وقلة أدبه مع الله تعالى.

٧- حدوث المعجزات دليل على صدق أصحابها.

التقـويـــم

١- تتعدد أساليب عرض القصة في القرآن الكريم، فبعضها بالأسلوب السردي، وبعضها بالأسلوب الحواري. ما الأسلوب الذي عُرضت به قصة البقرة في القرآن الكريم؟

٢- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ولكنهم شددوا، فشدد الله عليهم). تأمل هذا الأثر وأجب عما يأتي:

- ما المقصود بقوله: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها؟
- ما التشديد الذي شدّده الله عليهم بناءً على تشديدهم؟

٣- يؤخذ من الآيات سوء أدب اليهود مع الله ومع أنبيائهم. أيّد ذلك بآية تحفظها من آيات قصة البقرة.

٤- لقد طرح اليهود أربعة أسئلة على موسى عليه السلام. فما السؤال الرابع؟ وما الإجابة عنه؟

٥- ما المعجزة التي حدثت في هذه القصة؟ وما وجه الإعجاز فيها؟

٦- لماذا لم يتأثر اليهود بهذه المعجزة؟ أيّد إجابتك بآية من آيات القصة.

٧- ما الحكمة من ذكر قصة البقرة للمسلمين؟

قصة أصحاب الكهف

موضوع هذه القصة قوم موحّدون من أهل الكتب السابقة للإسلام. وقد عُرضت هذه القصة في سورة واحدة في القرآن الكريم، هي سورة الكهف. واستغرقت سبع عشرة آية من السورة.

ولقد بدأ العرض القرآني لهذه القصة بذكر موجز لها في أربع آيات، ثم أخذ يفصل في أحداثها في ثلاث عشرة آية، تخللتها توجيهات للرسول ﷺ، ولكل المؤمنين من أتباعه إلى يوم الدين.

موجز القصة:

تذكر الآيات لرسول الله ﷺ أن قصة أصحاب الكهف قصة عجيبة تدل على قدرة الله تبارك وتعالى، وهي معجزة حقا، وتشير إلى أن المعجزات الربانية كثيرة وفيها أعظم من هذه المعجزة.

ثم توجز الآيات القصة بأن شبابًا موحّدين من أهل الكتب السابقة ومعهم كلب لجأوا إلى غار في جبل، فارّين بدينهم مستعينين بالله عز وجل أن يرشدهم إلى خير الدنيا والآخرة، فأنامهم الله جلَّت قدرته في هذا الغار نومة طويلة ثقيلة لا توقظهم الأصوات ولا تقلبات الجو في فصول السنة المختلفة، واستمر نومهم عددًا كبيرًا من السنين، ثم بعثهم الله. فاختلفوا في مدة نومهم وعددهم إلى فريقين فأظهر الله تبارك وتعالى مدة نومهم وعددهم.

وقد بيّن الله تعالى معا لم هذه المعجزة فقال: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا)[1].

نشاط (١):

اقرأ الآيات السابقة وأجب عما يأتي:

١- من المخاطب في مطلع الآية الأولى: أم حسبت؟

٢- ما المقصود بالكهف؟ وما المقصود بالرقيم؟

٣- ما المقصود بقوله تعالى: (فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا)؟

٤- ما المقصود بقوله تعالى: (بَعَثْنَٰهُمْ)؟

١- الآيات ٩ إلى ١٢ من سورة الكهف.

تفصيل القصة:

تذكر كتب التفسير أن أحد ملوك النصارى على مدينة أفسوس أو خرسوس، واسمه دقيانوس انحرف عن دين التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام، وبلغ انحراف هذا الملك حد الكفر والفسق والفجور، فعبد الأصنام وقرر أن يُكره الناس الذين يحكمهم على عقيدته الفاسدة، فأثّر في كثير منهم حتى عبدوا الأصنام، وتابعوه في كل ما يقول، إلا نفرًا قليلاً من الشباب قد آمن بالله تعالى ووحده وعبده، فسمع بهم الملك فهددهم بالقتل إن لم يتابعوه، فلم يستجيبوا لأمره و لم يخضعوا لتهديده، وأصرُّوا على توحيد الله تبارك وتعالى وعبادته فزادهم الله هدىً وتثبيتًا على ما هم عليه من الإيمان والتوحيد والعبادة، لقد رفضوا بإباء وأعلنوا عن دينهم وعابوا على الذين انحرفوا وتابعوا الملك من دون حجة أو دليل، بل هو الخوف من بطشه وجبروته.

ولما رأى هؤلاء الشباب إقبال العامة على الكفر والضلال الذي يقوده الملك ويرعاه، وعدم استجابتهم لدعوة الإيمان تشاوروا فيما بينهم فاستقر رأيهم على الخروج من هذه القرية الظالم أهلها إلى غار في جبل بالقرب من المدينة فرارًا بدينهم وحتى يتمكنوا من عبادة ربهم بحرية وطمأنينة.

ولقد عرضت الآيات التالية هذه الحلقة من القصة. قال تعالى: (نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا)[1].

نشاط (٢):

اقرأ الآيات السابقة وأجب عما يأتي:

١- من المخاطب في قوله تعالى: (نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ)؟

٢- ما المقصود بقوله تعالى: (إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ)؟

٣- ما معنى قوله: (لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ)؟

٤- أين اعتزل هؤلاء الفتية؟ ومن اعتزلوا؟

٥- ماذا كانت نتيجة لجوئهم إلى الكهف بالنسبة إلى دينهم؟

١- الآيات ١٣ – ١٦ من سورة الكهف.

لطف الله بالفتية وهم في الغار:

ولقد شاء الله عزّ وجلّ أن يكون الغار الذي لجأوا إليه صحيا لم يتضرروا فيه، فبابه يفتح نحو الشمال، والشمس تدخله عند الغروب من دون أن تصيبهم بأشعتها فتؤذيهم، وهم ينامون في فنائه قد وفقهم الله لهذا وهداهم إليه كما هداهم إلى الإيمان والتوحيد من قبل، أما الذين يختارون الضلالة على الهدى فيزيدهم ضلالاً وتيهاً ولا ييسر لهم دليلاً يرشدهم. قال تعالى: (وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا) [1].

ومن نعم الله عليهم في الغار أيضا أن حماهم من الدخول عليهم والاعتداء عليهم والعبث بهم وهم رقود، إذ يتصور الناظر إليهم وهم رقود أنهم أيقاظ وليسوا بنائمين، عيونهم مفتوحة تراقب كل من يمر بالكهف، وكلبهم جالس جلسة الحي الذي يحرس أهله قد مد ذراعيه بفناء الكهف، على هيئة الاستعداد واليقظة. وهذه الحال تملأ قلب الناظر إليهم رعبًا وخوفًا، وتدعوه إلى الفرار لهول المنظر وهيبته.

وحتى تبقى أجسامهم صحيحة لا تبلى من طول نومهم على جنب واحد فقد منَّ الله عليهم بتقليب أجسامهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر. قال تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) [2].

نشاط (٣):

اقرأ هذه الآية وأجب عما يأتي:

١ – ما المقصود بقوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ)؟

٢ – ما الحكمة في تصور الناظر إليهم بأنهم أحياء وليسوا نائمين؟

١– الآية ١٧ من سورة الكهف.

٢– الآية ١٨ من سورة الكهف.

حوار بين أصحاب الكهف:

وبعد هذا النوم الذي استغرق مئات السنين في الكهف أيقظهم الله تبارك وتعالى، فأخذ يسأل بعضهم بعضا عن المدة التي ناموها فيقول أحدهم: كم لبثتم؟ فقالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، وقال آخرون: أنتم لا تعلمون ذلك، فالله وحده هو الذي يعلم ذلك لأن النائم كالميت لا يدري ما يحدث له في الزمان والمكان.

لا شك أنهم بعد هذا النوم الطويل بحاجة إلى الطعام، ولا بد أن يرسلوا من يشتري لهم الطعام الطيب الحلال من المدينة التي هجروها فراراً بدينهم، فاختاروا من بينهم واحداً وأوصوه بالحذر في ذهابه وتعامله خشية أن يكتشفهم الملك الكافر وأعوانه، فإنهم إن علموا بهم اضطهدوهم وربما ألجأوهم إلى الكفر، فخسروا بذلك خسراناً فادحاً في الدين والدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا﴾[1].

ومما يجدر ذكره هنا أن المدينة التي هجروها قد تغيّر حالها وحال أهلها، فأصبح أهلها صالحين، ومات الملك الكافر وجاء بعده ملك مؤمن صالح، فنشر عقيدة التوحيد في أهل المدينة.

لقد ذهب أحدهم بدراهمه القديمة إلى المدينة ليشتري الطعام، ولما أبرز دراهمه التي لم يعودوا يتعاملون بها أنكر الباعة ذلك، ولكنهم ذكروا في تاريخ المدينة أولئك النفر الذين هجروا المدينة وأن الدراهم التي يحملها هذا الرجل كانت مسكوكة في عهد الملك الطاغية الذي هلك، فاحتفى الناس والملك بهؤلاء الفتية احتفاءً عظيمًا وأكرموهم إكراماً يليق بإيمانهم وهجرتهم فراراً بدينهم.

وانقسم الناس في تكريمهم بعد موتهم إلى فريقين، فريق يقول نسدُّ عليهم باب الكهف ونذرهم حيث هم، وفريق يقول: نبني عليهم مسجداً يصلي الناس فيه. وقد غلب رأي هذا الفريق فبني عليهم مسجد.

إن هذه الحادثة كانت عظة لأهل الكهف ابتداءً إذ أيقنوا بقدرة الله على بعث الناس يوم القيامة كما حدث لهم في هذه الصورة البسيطة من النوم الطويل والبعث بعد ذلك.

وكذلك عظة لكل أهل المدينة لتتقرر هذه الحقيقة، وعظة لكل من علم بهذه الحادثة. قال تعالى:

١- الآيتان ١٩ و٢٠ من سورة الكهف.

(وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا) [1].

عدد أصحاب الكهف:

ولقد كثرت الأقوال في عدد هؤلاء الفتية، وعن المدة التي مكثوها في الكهف، والقول الصحيح في عددهم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال تعالى: (سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ) [2].

فالآية كما ترى حين تحدثت عن القول الأول والقول الثاني وصفتهما بالرجم بالغيب وحين ذكرت القول الثالث لم تصفه بذلك فدلّ على أنه هو القول الصحيح في العدد، فالله وحده سبحانه وتعالى هو الذي يعلم عددهم والمدة التي قضوها في الكهف.

ما يستفاد من القصة:

١- المعجزات الدالة على قدرة الله كثيرة ومنها قصة أصحاب الكهف.

٢- الشباب أكثر استجابة لدعوة الرسل من الشيوخ.

٣- التضحية مطلوبة شرعًا، حفاظاً على الإيمان.

٤- هجرة البيئة الفاسدة إلى البيئة الصالحة في الدين.

٥- اللجوء إلى الله عند الشدائد.

٦- الشرك افتراء على الله وحجته داحضة ولا دليل عليه.

٧- تعهد الله لأوليائه بالحماية والنصرة.

٨- الأخذ بالأسباب أمر يطلبه الشرع، كالحذر من الأعداء وإخفاء الأخبار عنهم.

١- الآية ٢١ من سورة الكهف.

٢- الآية ٢٢ من سورة الكهف.

التقـويـــم

١ – كيف عُرِضت قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم؟

٢ – اذكر موجزًا لقصة أصحاب الكهف؟

٣ – ما الحكمة في إنامة أصحاب الكهف نومة ثقيلة؟

٤ – هل استجاب هؤلاء الشباب لإكراه الملك الطاغية؟ و لم؟

٥ – ما الحل الذي اتخذه الفتية في الموقف من إكراه الملك؟

٦ – لقد أنعم الله على أصحاب الكهف نعمًا كثيرة. اذكر نعمة واحدة من هذه النعم.

٧ – لقد كان في قصة أصحاب الكهف وبعثهم من نومهم أكبر عظة لهم ولغيرهم، فما العظة التي كانت لأصحاب الكهف؟

٨ – ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن عدد أصحاب الكهف سبعة وثامنهم كلبهم، فما دليله على ذلك؟

٩ – في قصة أصحاب الكهف دروس وفوائد كثيرة، اذكر أربعة منها.

دراسات نصية من القرآن الكريم

سـورة الحشـر
(مدنية وآياتها ٢٤)

سبب نزولها:

نزلت هذه السورة في يهود بني النضير، وإجلائهم من ديارهم بجوار المدينة. ومجمل هذه الحادثة أن رسول الله ﷺ ذهب إليهم في حيّهم مع عدد من كبار أصحابه، وطلب إليهم المشاركة في أداء دية قتيلين تنفيذاً لما عاهدهم عليه، فتظاهروا بالموافقة والترحيب، في حين أخذوا يتآمرون على اغتياله بإلقاء حجر عليه من فوق أحد بيوتهم، حيث كان عليه الصلاة والسلام جالساً بجوار جداره.

ولما شرعوا في تنفيذ المؤامرة أوحى الله إلى رسوله بغدرهم فقام كأنما يريد قضاء حاجة، وترك أصحابه فلما استبطأوه ذهبوا إلى المدينة يسألون عنه، فعلموا أنه أمر بالتجهيز لحرب بني النضير لظهور الخيانة والغدر منهم.

وسارع المسلمون إليهم، وحاصروهم في حيّهم، واستمر الحصار ست عشرة ليلة، وبعدها طلبوا إلى رسول الله ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة بيوت على بعير ما شاءوا من الأموال والمتاع إلا السلاح. فخرجوا إلى خيبر بعد أن خربوا بيوتهم بأيديهم حتى لا ينتفع بها المسلمون.

الدرس الأول (الآيات ١–٥)

عاقبة الخائنين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

المعنى الإجمالي:

تبدأ السورة بذكر حقيقة واقعة، وهي أن جميع ما في السماوات وما في الأرض من أفلاك، ونبات وحيوان، وجماد، يسبح لله تعالى، ويقدسه، ويوحده، وينزهه عن كل ما لا يليق بذاته العلية. قال تعالى: (وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)[1]. ولا عجب في ذلك، فكل شيء في الوجود يدل على قدرة الله وحكمة تدبيره. وافتتاح السورة بهذا التسبيح يشير إلى اشتمالها على أمر عظيم، فتتهيأ الأذهان لاستقباله، وتستعد القلوب لتلقيه.

ثم يأتي ذكر الحادث المهم الذي نزلت في شأنه السورة فيقول جل وعلا: (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ...).

هذا الحادث هو إخراج بني النضير من ديارهم، وطردهم منها طرداً أبديا، وتذكر الآية أنه أول حشرهم،

١– الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

وهذا يشير إلى أن هناك حشراً أخيراً يليه، وقد حدث ذلك عندما أجلى عمر بن الخطاب ﷺ اليهود من خيبر إلى الشام.

والذي أخرجهم من ديارهم هو الله تعالى الذي يسبح كل شيء بحمده، أخرجهم بغير حرب، مع أن الأسباب المادية كانت تنبئ بعكس ذلك. فالمسلمون أنفسهم لم يتوقعوا خروجهم بهذه السهولة لما يعلمون من قوة حصونهم ومنعتها. واليهود لم يتصوروا أن يسلموا بهذه السرعة، فقد ظنوا أن مواقعهم الحصينة واستحكاماتهم المنيعة، تحميهم من أي هجوم يقوم به المسلمون.

ولكن الله حين قدّر عليهم الهزيمة، أتاهم من حيث لم يخطر لهم ببال، أتاهم من داخل نفوسهم فقذف في قلوبهم الخوف والهلع والجزع، فخارت قواهم، ووهنت عزائمهم، فاستسلموا طالبين الصلح، فأبى الرسول عليهم إلا الجلاء، فخضعوا لأمره، وفتحوا حصونهم التي لم تغن عنهم من الله شيئاً. وأخذوا يخربون بيوتهم ليفسدوها على من بعدهم، وليأخذوا ما أمكنهم من سقوفها وأبوابها وخشبها معهم، ويخربها المؤمنون أيضا من الخارج ليدخلوها عليهم، وليزيلوا تحصنهم بها، ثم رحلوا وتركوها. (مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ).

وفي هذا إنذار لكل أعداء الإسلام، فعليهم إن كانوا ذوي عقول وبصيرة أن يتخذوا من ذلك عبرة (فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ)، وأن يتأكدوا من أن الله إذا قضى أمراً أنفذه، وقد قضى على هؤلاء اليهود بالجلاء من ديارهم، فوقع قضاؤه عليهم، ولو لم يحكم عليهم بذلك لعذّبهم عذاباً آخر، مثل القتل أو الأسر، إلى جانب ما ينتظرهم في الآخرة من عذاب النار التي أُعدت للكافرين. (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ).

وقام المسلمون في حصارهم لبني النضير بقطع بعض نخيل اليهود وتحريقه؛ لإرهابهم وحملهم على الخروج، فنادوا من حصونهم قائلين: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟

فجاءت الآية التالية لترفع الحرج عن المسلمين فيما فعلوا وتقرهم عليه، وتبين أنه كان بإذن الله ورضاه، أراد به إذلال بني النضير وإيلامهم بالحسرة على ما قُطع وحُرق، وبالندامة على ما بقي قائماً، لأنهم لن ينتفعوا به، وسيتركونه للمسلمين. (مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ).

التقـويـــم

١ – اكتب أمام العبارات الآتية معانيها مستعيناً بكتب التفسير:

– سبّح لله: .....

– العزيز: .....

– لم يحتسبوا: .....

..

– الجلاء: .....

– شاقوا: .....

– لينة: .....

– وليخزي: .....

٢ – لماذا نُسب إخراج بني النضير إلى الله؟

٣ – استدل من الآيات الكريمة على ما يأتي:

أ – أسرع الهزائم ما جاء من داخل النفس.

ب – ما النصر إلا من عند الله.

ج – ما نزل ببني النضير لم يكن ظلمًا، بل جزاء وفاقا.

٤ – ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي مستعينًا بأحد كتب السيرة أو التاريخ:

أ – خرج يهود بني النضير جميعهم من المدينة إلى الشام.

ب – خرج بعضهم إلى الشام وبعضهم إلى خيبر.

ج – خرجوا جميعهم إلى خيبر.

٥ – ما المدة التي استمر فيها حصار الرسول ﷺ لبني النضير؟

٦ – أكمل ما يأتي مستعينًا بكتب السيرة:

– لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وجد بها ثلاث قبائل يهودية هي :

أ – .....

ب – .....

ج – .....

٧ – على أيِّ أساس فُكَّ الحصار عن بني النضير؟

٨ – قياسًا على هذه الحادثة، ما واجب مسلمي اليوم نحو فلسطين؟

٩ – (فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ)

أ – بأيِّ شيء يكون الاعتبار الذي تطالب به الآية؟

ب – من هم أولو الأبصار؟

١٠– (مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)

أ – ما سبب نزول هذه الآية؟

ب – ما معنى: (وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ)؟

الدرس الثاني (الآيتان ٦ – ٧)

الفـيء وأحكامــه

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

المعنى الإجمالي:

لما أجلي بنو النضير عن ديارهم خلّفوا وراءهم أموالا وأمتعة، وأرضاً وديارا، وقعت كلها في أيدي المسلمين، وقد سماها الله فيئا، وكان لا بد من بيان تقسيم هذه الأموال؛ لأنها تختلف في طبيعتها عن الغنيمة، وهي الأموال التي تقع في أيدي المسلمين بعد حرب وقتال، فجاءت هاتان الآيتان تبينان الفيء وكيفية تقسيمه.

أما الفيء فهو هذه الأموال التي ساقها الله إلى رسوله من دون أن يركب المسلمون إليها خيلاً ولا إبلاً، وإنما مشوا إليها مشياً، فقد كانت على بعد ميلين من المدينة، و لم يخوضوا فيها حرباً، إذ تولى الله أمر بني النضير بأن سلّط عليهم رسله ونصر نبيه عليهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وكذلك إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه، وهو القادر على كل شيء. (**وَمَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**).

وكيفية تقسيم الفيء وُضحت بقوله تعالى: (**وَمَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ....).

هذا هو تقسيم الفيء يقسم خمسة أقسام، لله وللرسول قسم، ولكل من ذُكر بعد ذلك قسم، وهو يختلف عن توزيع الغنيمة، فإنها تقسّم أخماسًا، خُمس منها لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، والباقي يقسم على المحاربين.

والحكمة من توزيع الفيء هذا التوزيع هي عدم تكديس الأموال في أيدي بعض الناس وتداولها بينهم، وبذلك يُحرم منها الفقراء : (كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ ...).

وعقبت الآية على ذلك بأن طلبت إلى المسلمين تقبل ما جاء به الرسول ﷺ من أحكام تتعلق بتوزيع الفيء أو غيره، والعمل بها؛ لأنه لا ينطق عن الهوى . (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ...).

ويأتي ختام الآية مطالباً المؤمنين بتقوى الله في السر والعلن؛ لأن فيها العصمة من الوقوع في المخالفة التي تؤدي بصاحبها إلى العذاب الشديد. (**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**).

التقـويـــم

١- ابحث في أحد القواميس، أو كتب التفسير، عن معاني الألفاظ الآتية، وسجلها في الفراغات التي أمامها :

- أفاء : .....
- أوجفتم : .....
- ركاب : .....
- دُولة : .....

٢- أكمل:

- الفيء هو: .....
- الغنيمة هي: .....
- تقسم الغنيمة أخماساً، خُمس منها .....

والباقي يقسم على .....

٣- ما معنى قوله تعالى: (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ)؟ وكيف يكون هذا التسليط؟

النشاط:

بعض النـاس يطبـق ما جاء في القرآن الكريم فقط. ولا يلتفت إلى السنة، لأن الله تعـالى قال: (مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ). وبعضهم يأخذ من السنة وحدها؛ لأنها توضِّح القرآن وتفصِّل مجمله. وبعضهم يستند إليهما جميعًا.

فأيُّ هؤلاء على صواب؟ وأيُّهم على خطأ؟ اكتب رأيك في كراستك مستعينًا بأحد كتب التفسير.

فضائل المهاجرين والأنصار

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ
نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا
تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

المعنى الإجمالي:

تناولت الآيات السابقة حكم الأموال التي خلّفها بنو النضير وهي المسماة بالفيء، فنصت على أنها لله وللرسول واليتامى والمساكين وابن السبيل، وبينت الحكمة من توزيعها على هذا النحو، وهي عدم تكديس المال في أيدي الأغنياء وتداوله بينهم.

وجاءت هذه الآيات تبين الطوائف التي يكون منها ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل المستحقون لهذا الفيء، وهم الفقراء من المهاجرين والأنصار، ولما كان المهاجرون يومئذ هم أفقر أهل المدينة، وأقلهم مالا، لخروجهم من ديارهم وتركهم أموالهم ابتغاء فضل الله ورضوانه ونصرة الله

ورسوله، فقد خصّهم الله بالذكر، فقال : (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** .....) ووصفهم بالصادقين لما تحملوه في سبيله من هجر الأوطان ومفارقة الأهل، وترك الأموال، فقال تعالى : (**أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) .

والطائفة الثانية من المستحقين هم الأنصار الذين كانت المدينة لهم داراً ووطناً، وكان الإيمان كذلك لهم كالدار والوطن، يفيئون إليه، وتعيش فيه قلوبهم وأرواحهم من قبل مجيء المهاجرين إليهم.

ومن محاسن هؤلاء الأنصار أنهم يحبون من هاجر إليهم، حبًا جعلهم يتزاحمون على إيوائهم والقيام بأمرهم. ويتقبلون برضا كامل ما قام به النبي ﷺ من توزيع مال الفيء على المهاجرين تعويضًا لهم عن بعض ما فقدوه، ولم يعط الأنصار من فيء بني النضير سوى فقيرين اثنين منهم، هما: سهل بن حنيف وأبو دجانة. تقبلوا ذلك من دون أن يجدوا في صدورهم أي أثر لحسد أو تبرم، وأكثر من ذلك أنهم كانوا يؤثرونهم على أنفسهم ولو كان بهم حاجة وفقر، والسر في ذلك أنهم انتصروا على أنانية النفس وشحها، وكل من يحفظ نفسه من الشح يكون من المفلحين، وقد شهد لهم بكل ذلك العليم بخفايا الصدور وهو الله سبحانه وتعالى في قوله: (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ).

وتأتي الآية التالية لتوضِّح الطائفة الثالثة التي تستحق من الفيء، وهي المسلمون الذين سيجيئون بعد المهاجرين والأنصار جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وموقف هذه الطائفة ممن سبقهم من المهاجرين والأنصار هو موقف الحب لمن سبقهم، واحترامهم والاقتداء بهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرضوان، والرجاء من الله أن يجعلهم مثلهم فيُطهر قلوبهم من الغِل للمسلمين السابقين واللاحقين.

وخُتمت الآية بما يلائم الدعاء ويناسبه وهو أن الله رؤوف بعباده الذين أقبلوا عليه، ورجوا فضله؛ لأنه رحيم يتقبل منهم أعمالهم ودعاءهم. (**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**).

التقـويـــم

١- ابحث عن معاني الكلمات الآتية، وسجلها في الفراغات التي أمامها:

- تبوأوا الدار: .....
- حاجة: .....
- أوتوا: .....
- يوق: .....
- غلاً: .....

٢- ما الفرق بين البخل والشُح؟

٣- أكمل:

- وصف الله المهاجرين في هذه الآيات بصفات أربع، هي:

.....

.....

.....

.....

- ووصف الأنصار كذلك بصفات أربع، هي:

.....

.....

.....

.....

٤- توجد في القرآن آيات أخرى فيها ثناء من الله تعالى على المهاجرين والأنصار، ابحث عن واحدة منها، وسجّلها في كراستك.

٥- بم وصف الله تعالى المسلمين الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار؟

٦- هل ترى هذا الوصف ينطبق على مسلمي زماننا هذا؟ ولماذا؟

٧- اكتب كلمة في كراستك تنصح فيها المسلمين بالعمل لاستئناف حياتهم الإسلامية، وتنير لهم الطريق بالاعتماد على ما جاء في هذه الآيات.

من صفات المنافقين

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

المعنى الإجمالي:

تصور هذه الآيات مشهدًا من غزوة بني النضير، فتحكي ما قاله المنافقون لإخوانهم اليهود حين حاصرهم النبي ﷺ، وما وعدوهم به وما عاهدوهم عليه؛ فقد أرسلوا إليهم من قال لهم: قاتلوا محمدًا ولا تخرجوا من دياركم، ولكم علينا أنه إذا أكرهكم على الخروج منها أن نخرج معكم، ولن نطيعه في قتالكم، وإذا قاتلكم فسنقاتله معكم، وننصركم عليه، وأكدوا ذلك بقولهم: (**لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ**) وقولهم: (**لَننصُرَنَّكُمْ**)، وهم في قرارة أنفسهم كانوا غير صادقين، وقد كشف الله باطلهم وشهد بكذبهم في قوله تعالى: (**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**). كاذبون في كل ما وعدوا اليهود به، فلن يخرجوا معهم إذا أخرجهم الرسول ﷺ، ولن ينصروهم إذا قاتلهم، ولئن نصروهم على وجه الفرض والتقدير فلن يثبتوا، وسيتسابقون إلى الهرب مذعورين، وسيكون مصير اليهود الهزيمة الحتمية؛ لقوله تعالى: (ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ)، وقد كان الأمر كما أخبر الله قبل وقوعه. (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ**) .

ثم تؤكد الآيات الكريمة للمؤمنين ما ألقاه الله في قلوب اليهود والمنافقين من خوف ورعب زلزل نفوسهم إلى درجة أنهم أصبحوا يخافون المؤمنين أكثر مما يخافون الله؛ لأنهم قوم لا يعلمون عظمة الله وبطشه، ولا يُقدّرونه حق قدره.

ومن شدة خوف اليهود أنهم لا يجتمعون لقتال المسلمين إلا في قرى حولها الحصون والقلاع، أو من خلف حوائط وأسوار يستترون وراءها، وذلك شأن الجبناء خائري العزيمة.

وهؤلاء لا ترى بأسهم وقوتهم إلا في معاداة بعضهم بعضاً، فلا يغرنك ما يبدو من مظاهر اجتماعهم؛ فإنّ من يراهم وهم يجتمعون ويتآمرون يظن أنهم على وفاق ومحبة، وأن بينهم تعاونًا وتناصرًا، في حين هم على خلاف ذلك، فقلوبهم متنافرة ومصالحهم متضاربة. وإنّ تشتت أهوائهم، وتفرق قلوبهم لدليل على أنهم لا يتصرفون تصرف العقلاء. (**لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**).

ومثل هؤلاء اليهود والمنافقين كمثل كفّار قريش الذين قاتلوا المسلمين من عهد قريب يوم بدر، فذاقوا وبال أمرهم، هزيمة وقتلاً في الدنيا، وعذابًا أليماً ينتظرهم في الآخرة. (**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**).

ولما كان موقف المنافقين من اليهود موقف المخادع والمغرر، فقد ضرب الله لذلك مثلاً بالشيطان عندما يغرر بالإنسان، ويشجعه على ارتكاب المعاصي، حتى إذا انصاع له تبرأ منه، فقد زيَّن المنافقون لليهود حرب المسلمين، ووعدوهم بالمناصرة، وعند الشدة والحاجة إليهم تخلوا عنهم وتبرأوا منهم، فكان جزاء كل من هؤلاء وهؤلاء خلوداً في جهنم، وعذاباً دائماً في النار، وذلك هو الجزاء العدل للظالمين. (**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ**).

التقـويـــم

١- ابحث في كتب التفسير عن معاني العبارات الآتية، وسجلها في الفراغات التي أمامها:

- نافقوا: .....
- ليولن الأدبار: .....
- لا يفقهون: .....
- شتى: .....
- وبال: .....

٢- من الذين نافقوا؟ ومن زعماؤهم؟ سجّل إجابتك في كراستك مستعينًا بكتب السيرة.

٣- (يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ) ما نوع هذه الأخوة؟

٤- أكمل: وصف الله المنافقين والكافرين بأنهم ..... و ..... و .....

٥- اختر الإجابة الصحيحة فيما يأتي، وضع علامة (√) أمامها:

(لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ) اشتدت الرهبة في صدور اليهود:

- لأن عددهم قليل وعدد المسلمين كثير.
- لأن الله تعالى ألقى في قلوبهم الرعب، ولا يعلمون عظمته وبطشه.
- لأنهم لا يملكون السلاح الذي يدافعون به عن أنفسهم.

٦- ما المراد بالذين من قبلهم؟ وما قصتهم؟

٧- في الآيات بيان لإعجاز القرآن، ودليل على صدق الرسول. وضِّح ذلك في كراستك.

موعظة من الله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ
أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ
عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ
ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ
ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣
هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤

المعنى الإجمالي:

في هذه الآيات يأمر الله المؤمنين بالتقوى التي تبعدهم عن المعاصي، وتقيهم غضبه وعذابه، بعد أن ذكر لهم مصارع المنافقين واليهود؛ ليأخذوا منها العبرة والعظة، ويدعوهم إلى أن يقوِّم كل منهم عمله الذي قدمه للآخرة التي ستجيء قريباً بعد الدنيا كما يجيء الغد بعد اليوم.

ثم كرر الأمر بالتقوى تأكيداً لأهميتها في وقاية المؤمن من الآثام، وعقّب على ذلك بأنه مطلع على ما ظهر من عمل الإنسان وما بطن. **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)**. ثم نهاهم عن أن يكونوا مثل الذين نسوا الله، فتركوا عبادته، و لم يعملوا ما أمرهم به، و لم يجتنبوا ما نهاهم عنه، وأفرطوا في اتباع الشهوات وارتكاب المنكرات، فعاقبهم الله على ذلك، بأن أنساهم حقوق أنفسهم بالتخاذل عن صالح الأعمال التي تقربهم من الله، أولئك هم الخارجون عن طاعة الله، المنحرفون عن طريق الهداية. **(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**.

ثم يُعقّب الله على ذلك بموازنة تبين الفرق الشاسع بين المؤمنين الذين يلتزمون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويتعاونون على البر والتقوى، وبين غير المؤمنين الذين يفعلون الشر، ويتعاونون على الإثم والعدوان، وشتّان بين هؤلاء وأولئك، فالمؤمنون هم أصحاب الجنة، ينعمون بثواب الله، ويفوزون برضوانه، أما غير المؤمنين فهم أصحاب النار الذين يقع عليهم غضب الله ويحل بهم عذابه **(لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)**.

ثم بيّن الله عظمة القرآن الكريم، وتأثيره في النفوس المؤمنة والقلوب الخاشعة، بما اشتمل عليه من تبشير وإنذار، وهدي ونور، وأحكام وتنظيمات، وآيات واضحات، وبراهين ساطعة، وحجج قاطعة. وأنه لعلوّ شأنه وجليل قدره، لو أنزله الله على جبل شامخ عظيم، وأوجد فيه العقل والشعور، لخضع على صلابته، وتشقق على قوته، خوفاً ورهبة من الله. فما بال الإنسان على ضعفه قد قسا قلبه، فلا يتدبر قوله، ولا تُؤثر فيه قوارعه وزواجره؟ وقد ضرب الله للناس هذا المثل لعلهم يتدبرون كلامه، فتهتدي به عقولهم، وتطمئن به قلوبهم ويحكمونه في شئون حياتهم. **(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** .

ثم يأتي بيان عظمة الله منزِّل هذا القرآن العظيم، وقد تجلى ذلك في ذكر بعض صفاته التي تفرّد بها، فهو الله الذي لا إله غيره، الذي أحاط بكل شيء علماً ظاهره وباطنه، الذي شملت رحمته جميع خلقه، الكثير الرحمة بعباده المؤمنين، مالك الكون وما فيه، يُدبر أمره بحكمته، المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال، المنعم على عباده الطائعين بالأمن والسلام، المسيطر على السماوات والأرض وما فيها، القوي الذي لا يُقهر، المترفع عما لا يليق بعظمته وجبروته، الذي خلق المخلوقات بحسب مشيئته، كل في صورته التي أرادها له، تفرد بالأسماء الحسنى، ووجّه المخلوقات إلى تسبيحه، وجعلها شاهدة على كمال ألوهيته، وعظيم ربوبيته، وقوة عزته وحكمته، (**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) .

التقـويـــم

١- ابحث عن معاني الكلمات الآتية، وسجّلها في الفراغات التي أمامها:

- الفاسقون: .....
- متصدعا: .....
- القدوس: .....
- السلام: .....
- المؤمن: .....
- المهيمن: .....
- العزيز: .....
- البارئ: .....
- المصور: .....

٢- كيف ينسى بعض الناس الله؟ وكيف ينسيهم الله أنفسهم؟

٣- هناك آيات كثيرة تحث على ذكر الله. ارجع إلى المصحف، واستخرج منه آيتين في هذا المعنى، مستعيناً بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ثم سجلهما في كراستك.

٤- لم كُرّر الأمر بالتقوى في الآيات السابقة؟

٥- تضمنت الآية الأولى وعدًا ووعيدًا. وضِّح ذلك.

٦- ابحث في أحد المراجع عن معاني كلمة (قرآن) ثم سجلها في كراستك.

٧- وضِّح الصورة التي ساقها الله لبيان عظمة القرآن، ثم اذكر الهدف منها.

٨- اختر أفضل إجابة فيما يأتي، وضع دائرة حول رمزها.

- **واجب المسلمين نحو القرآن الكريم أن يقوموا بـ :**

أ - طبعه ونشره بين الناس. ب- حفظه وتعليمه للآخرين.

ج- حفظه وتعليمه، والعمل به. د - كل ذلك صحيح .

٩- بدئت السورة الكريمة بالتسبيح، وخُتمت به. فما سرُّ ذلك؟

سـورة الحجـرات

(مدنية وآياتها ١٨)

بين يدي السورة:

هذه السورة مدنية، وهي على وجازتها سورة جليلة، تتضمن حقائق التربية الخالدة، وأسس المدنية الفاضلة، حتى سماها بعض المفسرين (سورة الأخلاق).

ابتدأت السورة الكريمة بالأدب الرفيع الذي أدّب الله به المؤمنين، تجاه شريعة الله وأمر رسوله، ثم انتقلت إلى أدب آخر وهو خفض الصوت بحضرة رسول الله ﷺ، ومن الأدب الخاص إلى الأدب العام تنتقل السورة لتقرر دعائم المجتمع الفاضل.

وقد سميت السورة بهذا الاسم لأنّ الله تعالى خصّ فيها حرمة بيوت النبي ﷺ وهي الحجرات التي كان يسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن.

آداب وأحكام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦

التفسير:

لقد تضمنت هذه الآيات آدابًا وأحكامًا عامة تدعو المسلمين إلى الالتزام بها وحذرت المؤمنين من أمور سيئة وطالبتهم بالكف عنها ومن ذلك:

١- حرمة التقديم على حكم الله وحكم رسوله:

الآية الأولى تخاطب المؤمنين وتذكرهم أن الإيمان يقتضي الانقياد لأمر الله تبارك وتعالى واتباع أحكامه، واجتناب نواهيه، آمرة إياهم بتقوى الله السميع العليم، فهو يسمع ويرى كل ما يصدر عنهم من قول وفعل.

ألا ترى أن الآية تنهى المسلمين بحزم أن يقدموا رأيًا من آرائهم أو اجتهاداً من اجتهاداتهم في حكم من الأحكام على حكم الله وحكم رسوله ﷺ، وتحذرهم من أن يتعجلوا بالقضاء في أمر من أمور الحياة قبل أن يقضي الله لهم فيه ورسوله، حتى لا يقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله.

٢- حرمة رفع الصوت في حضرة النبي لغير حاجة:

إن الآية الثانية تنهى المؤمنين عن تصرف غير لائق في أثناء الحديث مع رسول الله ﷺ وفي حضرته، إنها تنهى المتحدث مع رسول الله ﷺ أن يرفع صوته على صوت رسول الله ﷺ، وأن يخاطب النبي ﷺ كما يخاطب الناس فيناديه باسمه، فقد وقع قوم في هذه المخالفة على عهد رسول الله ﷺ، إذ ارتفعت أصواتهم فوق صوته، ونادوه باسمه كما ينادي بعضهم بعضا فقالوا: يا محمد. والأولى أن ينادوه بالرسالة والنبوة فيقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله.

لقد أمرهم الله تبارك وتعالى بخفض الصوت في حضرته إجلالاً له واحتراماً، ونهاهم عن مخالفة ذلك وحذّر من إبطال العمل وذهاب الأجر.

قال العلماء: ويكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما يكره في حياته، لأنه واجب الاحترام حياً وفي قبره دائماً، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ومن أتى بعدهم يتأدبون إذا وقفوا عند قبره ولا يحدثون جلبة ولا ضجيجًا ولا ترتفع أصواتهم حتى بالدعاء.

ويؤخذ من هذا أيضًا خفض الصوت عند مخاطبة العلماء وعند مخاطبة الآباء والأمراء الأتقياء حفاظًا على هيبتهم.

ولقد امتدحت الآية التي تلت الآية السابقة المؤمنين، الذين يخفضون أصواتهم في حضرة الرسول ﷺ، وعند مخاطبته، قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ).

ألا ترى أن هذه الآية تزكّي هؤلاء المؤمنين، وتعتبر ما قاموا به من احترام الرسول في الخطاب وخفض الصوت يدل على إخلاص قلوبهم وامتلائها بالتقوى، وهو ما يستوجب مغفرة الله وتجاوزه عن سيئات ارتكبوها في الحياة الدنيا، ويستوجب الثواب الجزيل يوم القيامة.

نشاط (١):

اقرأ الآية السابقة بدقة وأجب عما يأتي :

١- ما معنى يغضون أصواتهم؟

٢- اشرح قوله تعالى: (ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ).

٣- ما جزاء من يغض صوته في حضرة الرسول ﷺ وعند قبره؟

٣- مراعاة حرمة الرسول وتوقيره وهو في بيته ومع زوجاته:

وبعد الحديث السابق عن مراعاة الأدب في مخاطبة النبي ﷺ جاءت الآية تحدثنا عن قوم لم يراعوا الأدب في مخاطبة الرسول ﷺ وهو في بيته وعند زوجاته، فقد جاءوا إلى حجراته ونادوه بصوت عال من خارج تلك الحجرات، قائلين: يا محمد اخرج إلينا، يا محمد اخرج إلينا! وكان الأولى أن ينتظروه حتى يخرج إليهم فيسألوه حاجتهم، فيقضيها لهم، فيحصل لهم رضاه وخيره، قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ).

لقد وصفت الآية هؤلاء الذين ارتكبوا هذا الفعل القبيح بأنهم لا يعقلون، إذ لم يتصرفوا تصرف العقلاء في اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب، والأسلوب المناسب في قضاء حاجتهم، ففاتهم بذلك خير كثير.

ومما يجدر ذكره أن الآية خُتمت بقوله سبحانه: (والله غفور رحيم) إذ فتحت الأمل لهؤلاء ورغبتهم في التوبة إن هم ندموا على ما فعلوا، والتزموا الأدب وحسن الخلق.

٤- وجوب التثبت من خبر الفاسق قبل التصرف:

لقد جاءت الآية الأخيرة من هذا المقطع تخاطب المؤمنين آمرة إياهم بألا يتعجلوا في أحكامهم وتصرفاتهم، ويبنوها على أخبار لم تصح، أو من أناس متهمين في دينهم قبل أن يستوثقوا من صحة أخبار هؤلاء الفسّاق؛ لأنّ تسرعهم قبل التأكد من صحة الخبر يؤدي إلى ظلم الآخرين بحكم أو

بعقوبة لا يستحقونها، وهذا يعرضهم إلى غضب الله وسخطه، فإذا تسرع المؤمن وقع في الندم يوم القيامة يوم لا ينفعه الندم، قال تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ).

روى ابن جرير الطبري بإسناده أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم، فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ فصفُّوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت رجلاً مصدقاً، فسررنا بذلك، وقرَّت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق، فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ومن رسوله، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال، وأذَّن لصلاة العصر ونزلت الآية.

نشاط (٢):

اقرأ الآية وسبب نزولها كما رواه ابن جرير وأجب عما يأتي:

١- ما المقصود بكلمة فاسق؟

٢- كيف نتبين من خبر الفاسق؟

٣- اشرح معنى قوله تعالى: (أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ).

٤- لم عاد الرجل من بعض الطريق؟

التقـويـــم

١- قال تعـالى: (**يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**).

اقرأ هذه الآية وأجب عما يأتي:

أ - عم تنهى هذه الآية المؤمنين؟

ب - اشرح المراد بقوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)؟

٢- خفض الصوت في حضرة رسول الله ﷺ من الأدب المطلوب، اقرأ الآية الدالة على ذلك واحفظها.

٣- ما حكم رفع الصوت في مسجد الرسول ﷺ؟ علّل إجابتك.

٤- قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**).

اقرأ هذه الآية وأجب عما يأتي:

أ - فيمن نزلت هذه الآية ؟

ب - ما المقصود بقوله: وراء الحجرات؟

ج - ما معنى (أكثرهم لا يعقلون)؟

د - ما الحكمة في ختم الآية بقوله تعالى: (**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**)؟

٥- متى نزل قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**)؟

٦- اذكر أربعة أمور ترشد إليها الآيات.

النشاط:

اقرأ وتأمل:

روى البخاري بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده في بيته منكسًا رأسه، فقال له: ما شأنك ؟ فقال : شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله، فهو من أهل النار. فأتى الرجل النبي فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة.

تفسير ابن كثير ٦ / ٣٦٨

اقرأ هذا الحديث باهتمام وتدبر وأجب عما يأتي:

١- علام يدل سؤال رسول الله ﷺ عن ثابت بن قيس؟

٢- كيف وجد الرجل ثابت بن قيس في بيته؟

٣- مم كان يخشى ثابت بن قيس؟

٤- لم بشره الرسول ﷺ بالجنة؟

آفات مهلكات

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ
فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ
ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا
مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى
ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ
فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩
إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ
تُرۡحَمُونَ ١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ
وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ
بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا
تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ
لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢

التفسير:

تذكر هذه الآيات فضل وجود رسول الله ﷺ بين الصحابة وبقاء سنته من بعده. وتؤكد ضرورة الإصلاح بين المسلمين إذا اقتتلوا، وتنهى عن آفات مهلكات وأمراض تتنافى مع أخوة الإيمان من سخرية وتنابز بالألقاب السيئة وسوء الظن والتجسس والغيبة.

فضل وجود الرسول بين المسلمين:

إن لوجود رسول الله ﷺ بين الصحابة رضوان الله عليهم وبقاء سنته ﷺ بين المسلمين حتى تقوم الساعة آثاراً جليلة فهم يتعلمون منه ويسترشدون به وبسنته، فالرسول يوجههم ويربيهم التربية الإيمانية الحقة، وينجيهم من عذاب الآخرة.

والمتأمل في الآيتين الأوليين يدرك أن الرسول ﷺ هو الآمر الناهي وهو المطاع في أمره ونهيه وما شرع، وهو لا يستجيب لأهواء الناس، ولو استجاب لرغبات بعض المسلمين في كثير من الأمور التي لم يأت بها الشرع للحق العنت والمشقة بالمسلمين، ومن ثم تعرضوا للفساد والهلاك، فالله أعلم منهم بما يصلحهم. وحتى يستجيبوا لأمره وأمر رسوله حبّب إلى قلوبهم الإيمان ورغّبهم فيه بالبراهين الدالة على صدقه، وكرّه الله سبحانه وتعالى في قلوب المؤمنين الكفر لأنه يتناقض مع الإيمان بالله وتوحيده، وكرّه إلى نفوسهم الفسوق، لأنه خروج عن دين الله، كما كرّه إليهم العصيان وحرم المعاصي بأنواعها عليهم، ثم أخبرت الآية أن المؤمنين الذين يقبلون على الطاعات ويكفُّون عن الكفر والفسوق والعصيان ويكرهون ذلك هم الذين منّ الله عليهم بالرشد والهداية ورجاحة العقل فلا يضلون أبدا .

إن حب الإيمان وكُره الكفر من نعم الله الكثيرة التي أنعم بها على المؤمنين، وهو سبحانه وتعالى متفضل على عباده وهو العليم بأحوالهم وتصرفاتهم، قال تعالى : (**فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**).

الإصلاح بين المؤمنين واجب:

وبعد الحديث عن الإيمان جاءت الآيات تتحدث عن مقتضيات هذا الإيمان، ومنها وجوب الإصلاح بين المؤمنين إذا حدث شجار أو اختلاف أو قتال.

فقد حدث شجار بين عبد الله بن أُبي بن سلول وبين عبد الله بن رواحة الذي انتصر لرسول الله ﷺ وشارك الأوس والخزرج في الشجار وتضاربوا بأغصان الأشجار فتدخل رسول الله ﷺ فأصلح بينهم وأوقف الشجار فنزل قوله تعالى: (**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** ...) إلى قوله تعالى: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**).

إن الآيتين وضحتا لنا مراتب التدخل والإصلاح عند التخاصم والتنازع إذ ينبغي أن نبدأ بإقناع الفريقين بالتوقف عن القتال، وعليهما الاستجابة، فإن لم تستجب فئة من الفئتين فهي الفئة الباغية الظالمة، فيجب التدخل لإيقافها عن القتال ودفع ظلمها بقتالها حتى تذعن لأمر المصلحين، فإن تم ذلك تقدم أهل الإصلاح من المؤمنين وحكّموا الله ورسوله في النزاع وحكموا بالعدل بين المتنازعين، والآية الثانية تؤكد وتذكّر بوجوب الإصلاح بين المؤمنين، ووجوب تقوى الله في نفس المصلح، فلا يظلم ولا يجور، فإن التقوى سبب تنزل رحمة الله على عباده، قال تعالى: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**).

آفات تقوّض المجتمع:

بنى الإسلام مجتمعه بناء قوياً متماسكاً، وأوجب أن يستمر هذا البناء قوياً حتى يكون منيعاً في وجه أعدائه، ولهذا فقد حرّم كل أسباب الضعف والفرقة. ولقد تحدثت آيات السورة هنا عن الأمراض الآتية التي تمزق الوحدة وتؤدي إلى التشاحن وهي:

١- **السخـرية:** لقد حرم الله تبارك وتعالى الاستهزاء والاستخفاف والتحقير بالآخرين سواء أكانوا رجالاً أم نساء قال تعالى: (**لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ**). وقد يكون هؤلاء الذين يسخر الآخرون منهم هم خير من الساخرين، إذا استجابوا لنهي الله وكفُّوا عن المعاصي ومنها السخرية بالآخرين، والساخرون لم يستجيبوا للنهي فوقعوا في المعصية.

٢- **إعابة الآخرين بالإشارة أو ما شابهها:** لقد حرم الله تبارك وتعالى على المؤمنين أن يعيب بعضهم بعضاً بإشارة أو همز أو لمز سواء كان ذلك بالعين أو الشفتين أو اللسان أو الرأس. قال تعالى: (**وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**).

٣- **التنادي بالألقاب القبيحة:** وحرمت هذه الآيات أيضاً على المسلمين أن ينادي بعضهم بعضاً بألقاب قبيحة يتأذى المنادى بها ويستاء منها، قال تعالى: (**وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ**).

ولقد ذم الله تبارك وتعالى هذا الفعل القبيح وعدّه فسوقا أي خروجًا عن أمر الدين، قال تعالى: (**بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ**) وأوجب على مقترف هذا الإثم أن يتوب منه. وإلا كان ظالماً لنفسه، فعرّضها إلى سخط الله وغضبه، وكان ظالماً للآخرين فلم يتوقف عن الإساءة و لم يعتذر عما بدر منه. قال تعالى: (**وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**).

٤- **سوء الظن بالآخرين:** وحرم الله تبارك وتعالى سوء الظن بالآخرين وعدّه إثماً مبيناً، فأوجب اجتناب كثير من الظن حتى لا يقع في القليل منه وهو سوء الظن. قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**).

٥- **التجسس:** إن التجسس هو البحث عن عيوب الآخرين، وهو في الغالب يأتي بعد سوء الظن، إذ عندما يظن أحد في أحد ظناً ما فإنه يجب أن يستيقن من ذلك، وطريق ذلك التجسس. ولهذا حرم الله تبارك وتعالى سوء الظن والتجسس فقال سبحانه: (**وَلا تَجَسَّسُوا**).

٦- **الغيبة:** والغيبة معناها ذكر المسلم أخاه بما يكره في غيابه حتى ولو كان ما يذكره صحيحاً وصادقاً، عن أبي هريرة ﷺ قال: «قيل يا رسول الله: ما الغيبة؟ قال ﷺ: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».

نشاط:

اقرأ الحديث السابق بتدبر وأجب عما يأتي:

١- إذا ذكر المسلم أخاه المسلم في غيابه بما لا يكره هل يعتبر ذلك غيبة؟ و لم؟

٢- لو ذكر المسلم أخاه المسلم في غيابه بما ليس فيه ماذا تسميه؟

٣- ما الفرق بين الغيبة والبهتان؟

ولقد حرم الله الغيبة في قوله تعالى : (**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**). وزيادة في التشنيع على المغتابين ذكر ذلك بصورة تنفر منها الطباع السليمة والنفوس القويمة، فقال: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) فقد شبّه من يغتاب أخاه المسلم بمن يقدم على أكل جسد أخيه بعد موته.

وعلى المغتاب أن يلجأ إلى الله بالتوبة فيكفَّ عن الغيبة وما يؤذي الناس فالله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن سيئاتهم وهذا من كمال رحمته بالناس، إن الله بالناس لرؤوف رحيم.

التقـويـــم

١- للرسول ﷺ ولسنته من بعده فضل كبير على المسلمين. لخِّص هذا الفضل في ثلاث أفكار رئيسة.

٢- حدّد العلاقة بين قوله تعالى: (**لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ** ...) وقوله تعالى: (**وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ**).

٣- بيّن الخطوة اللاحقة لإخضاع الفئة الباغية، وماذا تستنتج من ذلك؟

٤- ما سبب نزول قول الله تعالى: (**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** ..) إلخ الآية؟

٥- لم توجه التعبير بصيغة الجمع في (**اقتتلوا**) مع أن الكلام في بداية النص عن الطائفتين، وهي مثنى؟

٦- حدّدت الآيات الكريمة مراتب التدخل في الإصلاح عند التخاصم، اذكرها مرتبة.

٧- ذكرت الآيات عدداً من الآفات التي تقوّض المجتمع، منها :

أ - .....

ب - .....

ج - .....

٨- قال تعالى في الآيات السابقة: (**وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**). فما الأمور التي يجب أن يتوب المسلم عنها في هذه الآيات؟

إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ
أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ
وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ
غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

التفسير:

تعلمنا الآية الأولى أن الله تبارك وتعالى قد خلق الناس جميعاً متساوين في أصل الخلق وفي طريقة التناسل، فقد خلقهم من ذكر هو آدم عليه السلام، ومن أنثى هي حواء عليها السلام زوج آدم، ثم شرع الله لهم الزواج ليتناسلوا، فتتكون على إثر تكاثرهم الشعوب والقبائل، وتسود بينهم روح التعارف والتآلف.

والآية حددت مقياس التفاضل بين الناس فجعلته التقوى، في حين أن أهل الجاهلية يعتبرون المال أو الجاه أو السلطان أو كلها معاً مقاييس يتفاضل الناس بها، فصاحب المال أفضل، وصاحب الجاه أفهم، وصاحب السلطان أعرف. والله يقول: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ).

فما المقصود بالتقوى؟

إن التقوى تعني مخافة الله تعالى بالتزام أوامره واجتناب نواهيه.

هذا وقد نهى النبي ﷺ الذين يتفاخرون بآبائهم ويتناسون مقياس التفاضل الرباني، وهو التقوى، فقال: (كلكم بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، ولينتهينّ قوم يفخرون بآبائهم أو ليكوننّ أهون على الله من الجعلان)[1].

نشاط :

اقرأ هذا الحديث بدقة وأجب عما يأتي:

١- ماذا تفهم من انتساب جميع البشر لآدم؟

٢- عمّ نهى الحديث؟

٣- ما العقوبة التي تضمنها الحديث لأولئك الذين يصرُّون على الفخر بآبائهم من دون مبرر شرعي؟

وبعد الحديث عن المقياس الرباني في التفاضل بين الناس جاءت الآية الثانية تحدثنا عن قوم من الأعراب قد خضعوا لقوة الإسلام، و لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم، فجاءوا رسول الله ﷺ وقالوا : لقد آمنا، فأنكر

١- رواه البزار.

الله عليهم قولهم هذا، إذ هو مجرد دعوى بالإيمان، وهم ليسوا كذلك، ثم قرر حقيقة حالهم بأنهم استسلموا لما رأوا قوة المسلمين. إذ الإيمان هو تصديق بالقلب ونطق باللسان، وعمل يصدق النطق والتصديق كالصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر تكاليف الإسلام، قال تعالى : (قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ). والمقصود بطاعة الله تنفيذ أوامره والكف عن نواهيه، وطاعة الرسول تعني اتباعه والاقتداء به.

إن هذه الآية تحضُّ الأعراب على الإيمان والطاعة لله ولرسوله، وترغِّبهم في ذلك بتبشيرهم أن الله سيكافئهم على إيمانهم وأعمالهم الحسنة، ولن ينقص من ثواب أعمالهم شيئاً، وفوق ذلك فإنه سيغفر لهم ما ارتكبوا من آثام ومخالفات إن هم تابوا وآمنوا، قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)، فهو كثير المغفرة، رحيم بعباده، ومن رحمته قبول توبتهم.

ثم تأتي الآية التالية تبين حقيقة الإيمان والمؤمنين، قال تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)**.

إن المؤمنين الصادقين هم الذين صدّقوا بالله ورسوله واستقر ذلك في قلوبهم، وعبرت عن ذلك الصدق ألسنتهم وازدادوا يقيناً على يقينهم و لم يترددوا أو يتشككوا لحظة واحدة في إيمانهم، وقاموا بما يقتضيه الإيمان من مجاهدة أعداء الإسلام بالأموال والأنفس وكان جهادهم خالصاً لله كما عبّرت عنه الآية (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) أي ابتغاء مرضاته.

وبعد أن حدثنا القرآن في هذه السورة عن أهم صفات المؤمنين عاد إلى بيان حقيقة هؤلاء الأعراب الذين جاءوا مغرورين يتباهون بدخول الإسلام واعتناق الإيمان، فردَّ الله عليهم يعلمهم أنه يعلم حقيقة ما انطوت عليه نفوسهم، وما كسبت قلوبهم، فهو يعلم كل ما حدث ويحدث في الكون كله .

إن هؤلاء الأعراب لم يكونوا صادقين في ادعائهم الإيمان ولا الإسلام، لأنهم لم يسلموا لله جلت عظمته، بدليل أنهم جاءوا يذكرون ذلك على سبيل المنة مع أنهم بحاجة إلى الإيمان والهداية، والله ليس بحاجة إلى إيمان أحد من الخلق، فإن إيمان أهل الأرض جميعاً لا يزيد في ملك الله شيئاً وكفرهم لا ينقص منه شيئاً، فالمنة والفضل له سبحانه وتعالى إذ يسّر سبل الهداية والإيمان بإرساله الرسل يرشدون الناس إلى طريق الخير، قال تعالى: **(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ**

لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ).

وتُختتم السورة بحقيقة يغفل عنها كثير من الناس، ولا سيما أهل المعاصي، وهذه الحقيقة تتكرر في القرآن كثيراً وهي أن الله يعلم ما يجري في الكون، ومن الناس من تصرفات قولية أو فعلية، ويعلم ما يغيب عن الناس، فهو عالم الغيب والشهادة، وسيحكم بين عباده يوم القيامة بما آمنوا به واكتسبوه في حياتهم الدنيا.

التقـويـــم

١- لقد ساوى الإسلام بين الناس. فما مظهر المساواة في هذه الآيات؟

٢- ما المقصود بقوله تعالى: (إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ)؟

٣- هل كان الأعراب الذين جاءوا إلى الرسول صادقين في قولهم: آمنّا ؟ أيّد إجابتك بالآية الدالة على ذلك.

٤- لقد حضَّت آية من الآيات الأعراب على التوبة. اكتب هذه الآية بخط جميل واشرحها.

٥- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

- **الجهاد بالنفس هو قتال يهدف إلى:**

أ - الحصول على المغانم.

ب- إظهار الشجاعة والقوة.

ج - نصرة الأهل.

د - عزة الإسلام وحماية أرض المسلمين.

- **الجهاد بالمال يكون بالإنفاق على:**

أ - الأيتام .

ب- بناء المدارس .

ج - بناء المساجد .

د - تجهيز الجيوش .

أثر القرآن الكريم في حياة المسلمين وواجبهم نحوه

لقد منّ الله على المسلمين بالقرآن الكريم، فلم يعرف الناس كتابًا لقي من الاهتمام بفهمه وتفسيره وحفظه ما لقيه القرآن الكريم.

ومع العناية الإلهية به نجد الرسول ﷺ قد تلقاه بالإيمان، فبلّغه الناس كما أُنزل إليه من ربه، وسار على نهجه حتى كان خُلقه ﷺ في الحياة القرآن كما أخبرت عنه عائشة رضي الله عنها.

وقد حثَّ المسلمين على تبليغه فتنافسوا في تعلمه وتعليمه، وحبّب إليهم التعبد به فرتلوه في مجالسهم بين يدي الله عز وجل، وامتلأت نفوسهم بتقديسه، وسارعوا إلى العمل به، وتلبية نداءاته حتى صارت كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

أ – أثره في حياة المسلمين:

١ – هداهم إلى توحيد الله:

نزل القرآن على الرسول ﷺ فأخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى التوحيد فلا يعبدون إلا الله، ولا يرجون إلا رحمته، ولا يخافون إلا عذابه، فأهّلهم بذلك لهداية الدنيا وتحرير البشر، وخلافة الله في الأرض.

٢ – فرض عليهم طلب العلم:

لقد كانت أول آية نزلت على النبي ﷺ: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) [١]. وفي ذلك إلزام وحث على التعلم. ولقد كان النبي ﷺ يجعل فداء الأسير من أسرى بدر تعليم عشرة من الصبيان القراءة والكتابة.

٣ – أحلّ لهم الطيبات وحرّم عليهم الخبائث:

أحلَّ لهم كل طيب، وأمرهم بكل خير، وحرَّم عليهم الفواحش والسلب والنهب والكبر والفجور والخمر والميسر والربا والبغي والنميمة والغيبة والكذب، وكل ما يفسد الأرض ويهلك الحرث والنسل.

---

١ – الآية ١ من سورة العلق.

٤- سنّ لهم دستوراً ومنهاج حياة:

قال تعالى: (قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (١).

فلم يدع جانبًا من جوانب الحياة في السلم أو الحرب، في الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة، إلا شرع له وأحكم أمره، وأنصف الناس جميعاً بعضهم من بعض بالعدل والمساواة.

٥- وحّدهم وألّف بين قلوبهم:

توحد العرب للمرة الأولى في التاريخ، فتكونت لهم أمة، وصار لهم دين، وقامت لهم دولة. حيث جمعهم القرآن على الهدى وألّف بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخوانا، قال تعالى: (وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا) (٢).

٦- علّمهم الحكمة وأهّلهم للإمامة:

أي هداهم إلى الإصابة في القول والفعل، فأصبحوا أهل سياسة وكياسة وكانوا من قبل غلاظاً جفاة، وأهّلهم للإمامة والزعامة فقادوا البشرية إلى الهدى والحق والخير، وسعدت بهم الدنيا كلها.

٧- حفظ لغتهم ورفع شأنها:

بفضل القرآن الكريم حُفظت لغتهم من عوامل التدمير والفناء، ومن أجل القرآن الكريم وفهمه وحفظه:

أ - دونت آثار العرب في الشعر والنثر والحكمة والأمثال.

ب- أنشئت معاجم اللغة.

ج- أنشئ علم النحو والصرف.

د - أنشئت علوم البيان والبلاغة.

هـ- أقبل الأعاجم على تعلم اللغة العربية، وخدمتها، والتأليف في قواعدها وفروعها وأصولها.

و - أنشئت علوم التفسير، والقراءات والتجويد.

١- الآيتان ١٥ و١٦ من سورة المائدة.

٢- الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

لقد حفظ القرآن اللغة العربية وجعل لها قداسة وتعظيماً في نفوس غير العرب من المسلمين، حتى فضّلوها على لغتهم، بل صارت هي اللغة الأولى الأكثر انتشاراً في العالم قبل أن تتمزق الأمة الإسلامية إلى دويلات، ويهيمن عليها غير المسلمين أيام الاستعمار، ولا يزال كل مسلم يُجِلّ اللغة العربية، ويعتز بها ويتفاخر بالحديث بها؛ لأنها لغة القرآن الكريم.

ب – واجبهم نحوه:

على المسلمين أن يذكروا نعمة الله عليهم بالإسلام، وأن يشكروا هذه النعمة التي أتمها عليهم بالحرص عليها، وتطبيق شرعه وتنفيذ أحكامه، وواجب المسلمين تجاه القرآن الكريم :

- أن يرتلوه، وتبقى ألسنتهم رطبة بذكره على الدوام؛ كي تطمئن قلوبهم، قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ) [١]. وعلى الأخص في أوقات الرخاء والشدة، فقد مرّ صلاح الدين يوم معركة حطين بخيام جنده ليلاً، فسمع الذكر وتلاوة القرآن، ورأى الركع السجد، فحمد الله وأيقن النصر.
- أن يجتهدوا في فهم معانيه ومراميه، والرجوع إلى كلام أهل العلم فيما أشكل عليهم فهمه، قال تعالى: (كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) [٢].
- أن يعملوا بما جاء فيه، ويطبقوا أحكامه، وألا يتحاكموا إلى نظام آخر غير نظامه. قال تعالى: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) [٣].
- أن يبنوا مجتمعهم على أساس الانقياد إلى كتاب الله وسنة رسوله، فإذا ما طرأت عليهم مشكلة عرضوها على كتاب الله، فإن وافقته أخذوا بها، وإن عارضته طرحوها. قال عزّ من قائل: (فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [٤]. وكيف لا يتحاكمون إلى تعاليم الخالق؟ وهو العليم الخبير بمن خلق !!

١– الآية ٢٨ من سورة الرعد.

٢– الآية ٢٩ من سورة ص.

٣– الآية ٤٥ من سورة المائدة.

٤– الآية ٥٩ من سورة النساء.

وهو سبحانه أعرف بما يصلح لهم، قال تعالى: (أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [1].

- أن ينشروا تعاليمه في ربوع الأرض. روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

١- الآية ٥٠ من سورة المائدة.

التقـويـــم

١- من أثر القرآن الكريم في حياة المسلمين أن هداهم إلى توحيد الله. اكتب مقالا لا يزيد عن عشرين سطراً يوضِّح ذلك.

٢- بيّن خمساً من الصفات التي كانت تميّز العرب قبل الإسلام.

٣- استخرج بوساطة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم آية تدل على ما يأتي:

- فضل العلماء.
- أنّ الله أحلّ لنا الطيبات وحرّم علينا الخبائث.
- أنّ الله جعلنا خير أمة أخرجت للناس.
- كتابة الدين.
- أنّ في القرآن شفاء للمؤمنين.

٤- وضِّح كيف حفظ القرآن لغة العرب.

٥- لماذا فضّل غير العرب من المسلمين اللغة العربية على لغتهم؟ أورد أمثلة تبين ذلك.

٦- ما واجب المسلمين اليوم نحو القرآن الكريم؟

الباب الثاني

السنّة النبوية الشريفة

مفهوم السـنّـة وأنواعها

الشريعة الإسلامية ترجع في مصدرها إلى أصلين كريمين:

الأصل الأول: القرآن الكريم:

وهو كلام الله تعالى المنّزل على رسول الله ﷺ للهداية والإعجاز.

الأصل الثاني: السنّة النبوية المطهرة:

وهي أصل من أصـول الدين، ووحـي من رب العالمـين، من اتبعها سعد وكان من المهتدين، ومن أعرض عنها شقي وكان من الضالين. وقد أمرنا الله باتباعها والسير على نهجها، فقال سبحانه وتعالى: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟) [١].

وللسنّة أهمية كبرى في فهم معاني القرآن الكريم، والكشف عن الأحكام التي تتضمنها نصوصه العامة وقواعده الكلية، ولولا السنّة لبقي القرآن مجهولاً لنا خافياً علينا.

ووظـيفة السـنّة نحـو القرآن أنهـا مبيّنة لـه، تفصّـل مجمـله، وتقيّـد مطلقـه، وتخصّـص عامه، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [٢].

وكان النبي ﷺ يبين ما في القرآن مرة بقوله، ومرة بفعله، ومرة بهما، وبيان الرسول ﷺ هذا هو ما يسمى (بالسنّة).

١ – مفهوم السنّة في اللغة:

هي الطريقة والسيرة، حميدةً كانت أم ذميمة [٣]، يدل على هذا المفهوم قول الرسول ﷺ: «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» [٤].

١– الآية ٧ من سورة الحشر.

٢– الآية ٤٤ من سورة النحل.

٣– لسان العرب ج ١٧ ص ٨٩.

٤– رواه مسلم.

٢- مفهوم السنة عند المحدِّثين:

هي أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخُلقية والخِلقية.

فمثال القول: ما تحدث به النبي ﷺ في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام، كقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[١]. وقوله: (لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد [٢] إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنما يؤدى إليه شطره) [٣]. وأقوال النبي ﷺ التي رواها عنه الصحابة تسمى «**السنّة القولية**».

والمراد بالفعل: ما رآه الصحابة من أفعال النبي ﷺ ونقلوها إلينا كما هي في شئون العبادة وغيرها مثل: صفة وضوئه ﷺ، وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، وأدائه مناسك الحج والعمرة، وغير ذلك مما رآه الصحابة. وأفعال النبي ﷺ تسمى «**السنّة الفعلية**».

والمراد بالتقرير: هو سكوت الرسول ﷺ عن أفعال رآها صدرت من بعض الصحابة مع ظهور علامة الرضا والاستحسان منه ﷺ مثلما رُوي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه خرج رجلان في سفر، وليس معهما ماء، فحضرت الصلاة، فتيمما صعيداً طيباً، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة، و لم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد : (أصبت السنّة)، وقال للآخر: (لك الأجر مرتين). وكل ما رآه النبي من أفعال الصحابة وسكت عنه يسمى (**سنّة تقريرية**).

والمراد بصفات الرسول ﷺ الخُلقية: الأخلاق العظيمة التي كان يتحلى بها الرسول ﷺ، ووصفه بها ربه في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٦]. ومن أخلاقه ما جاء في الصحيح: (سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا جاف، ولا صخّاب بالأسواق، ولا يقابل السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح)[٧].

والمراد بصفاته الخِلقية: الملامح الجسدية لرسول الله ﷺ التي رواها لنا الصحابة مثل : قول أنس ﷺ: (كان

١- رواه البخاري .
٢- أي حاضر.
٣- رواه البخاري، ومعنى شطره: أي نصفه.
٤- بكسر الخاء، وتسكين اللام.
٥- بضم الخاء واللام.
٦- الآية ٤ من سورة القلم.
٧- رواه البخاري.

رسول الله ﷺ أزهر اللون [١] كأنّ عرقه اللؤلؤ [٢] إذا مشى تكفأ، ولا مسستُ ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ [٣].

وما رواه لنا الصحابة من صفات الرسول الخُلقية والخِلقية يسمى **سنّة وصفية**.

مفهوم السنّة عند الفقهاء:

هي عندهم أحد الأحكام الخمسة المعروفة:(الفرض، والسنّة، والمباح، والمكروه، والحرام). وعرّفوها بأنها: الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب. مثل صلاة الضحى، وصيام يومي الاثنين والخميس.

مفهوم البدعة:

تطلق السنّة في مقابلة البدعة، والبدعة في اللغة: هي الأمر المستحدث.

وفي الشرع: كل ما أحدثه الناس من قول وعمل في الدين وشعائره مما لم يُؤْثر عن النبي ﷺ.

وقد حذّر النبي ﷺ من الابتداع في شئون الدين فقال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [٥].

وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، فإنه صريح في رد كل البدع في الدين؛ إذ إنه الميزان الذي توزن به الأعمال في ظاهرها، كما أن حديث (إنما الأعمال بالنيات) ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى، و لم يكن خالصًا له سبحانه لا يكون لعامله ثواب فكذلك أيضا كل عمل لا يكون عليه أمر الله سبحانه وأمر رسوله ﷺ مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء.

والمراد من قول الرسول ﷺ: (من أحدث في أمرنا ....) أي في ديننا. فما هو الدين الذي يحرم الابتداع فيه؟

١- أي أبيض مشرق الوجه.
٢- أي في الصفاء والبياض.
٣- رواه مسلم.
٤- رواه البخاري.

حقيقة الدين:

الدين: كلمة جامعة يراد بها ثلاثة أمور:

١- العقائد التي تتصل بالله سبحانه وبرسله، وكتبه إليهم، وتتصل باليوم الآخر الذي أعده الله لدار الجزاء.

٢- العبادات التي رسمها الإسلام للتقرب بها إلى الله تعالى، واتخذها شعائر مميزة له، وعيّن لها مواقيت، ومقادير وكيفيات معينة، كالعبادات الأربع المعروفة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

٣- الحلال والحرام الذي فصّله الله لنا في القرآن، وبيّنه لنا الرسول ﷺ في السنّة النبوية المطهرة.

والتدين الصادق هو الذي يقف بصاحبه في العقيدة، والعبادة والحل والحرمة، عند حد ما شرع الله وبيّن، وكان التصرف في شيء منه هو الانحراف عن دين الله، وهو الابتداع فيه.

البدعة المحرمة:

البدعة المحرمة تكون في ما تعبدنا الله به من عقيدة أو عبادة أو حل أو حرمة.

فالابتداع في العقيدة يؤدي إلى الشرك كما حدث للمشركين الذين اتخذوا الأوثان، وعبدوا الأحجار والأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، فأساس الشرك في الحقيقة هو الابتداع.

والابتداع في العبادة يكون بالزيادة أو النقصان، أو التبديل أو التعديل، وهذا الابتداع يُخرج المبتدع عن حقيقة الإيمان، لأن العبادة الحقة لا تكون إلا بما شرع الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

والابتداع في الحلال والحرام الذي نصّ عليه الشارع يكون بتحريم ما أحلّ الله وإحلال ما حرم الله في كتابه وعلى لسان رسوله.

أما ما سكت الشارع عنه ولم يرد نص بتحريمه فهو مباح، وفعله لا يسمى بدعة محرمة؛ لقول الرسول ﷺ: (ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته؛ فإن الله لم يكن لينسى شيئاً)[١] وتلا: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)[٢].

١- رواه البزار بسند صحيح والحاكم في المستدرك.

٢- الآية ٦٤ من سورة مريم.

البدعة الحسنة:

إنّ مجال الابتداع والابتكار يكون في الأمور الدنيوية من زراعة وصناعة وتجارة وما يتعلق بشئون الحياة مما لم يتعبدنا الله بشيء منه، فإن التصرف في شؤون الحياة بالتنظيم أو التغيير لا يكون من الابتداع الذي يؤثر على تدين الإنسان وعلاقته بربه، بل إن الابتداع في الأمور الدنيوية من مقتضيات التطور الزمني الذي لا يسمح بالوقوف عند حد الموروث من وسائل الحياة عن الآباء والأجداد.

وقد ترك الله في شرعه هذا الجانب من الحياة للتفكير البشري ولم يقيده بتشريع معين، ولا أسلوب خاص، وإنما فوّض إلينا الأمر فيه باختيار ما نراه موافقاً لمصلحتنا، ومحققاً لخيرنا بحسب الإيحاءات الزمنية والوسائل العصرية المتبدلة والمتغيرة، ولعل ذلك هو المقصود بقول الرسول ﷺ: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)[1].

إذاً، ليس لنا أن نقول عن شيء يقع في هذه الدائرة إنه لم يفعله الرسول ولا أحد من خلفائه[2]، فلا نفعله، ذلك بأنهم لم يفعلوه لأن زمنهم لم يطلبه، ولم توجد لديهم بواعث عمله أو التفكير فيه.

١- أخرجه مسلم.

٢- لقول رسول الله ﷺ: " عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ".

التقـويـــم

١- (للسنّة مكانة سامية في فهم معاني القرآن الكريم). اشرح ذلك في ضوء ما درست.

٢- ما مفهوم السنّة في اللغة وعند المحدثين؟ وما الفرق بينها وبين الحديث؟

٣- اذكر مثالاً لكل مما يأتي:

أ . السنّة القولية.

ب . السنّة الفعلية.

ج . السنّة التقريرية.

٤- بم تعلّل سكوت الرسول ﷺ على أفعال بعض الصحابة؟

٥- وضّح الفرق بين مفهوم السنّة عند المحدِّثين والسنّة عند الفقهاء.

٦- ما مفهوم البدعة لغة وشرعًا؟ ولماذا حذّرنا الرسول ﷺ منها؟

٧- ما رأيك في المخترعات الحديثة التي نستعملها؟ هل تعد من البدعة التي نهانا الرسول عنها؟

٨- (أساس الشرك هو الابتداع)، اشرح ذلك.

٩- ضع علامة (√) أمام الصفات الخِلقية فيما يأتي:

أ. كان رسول الله ﷺ أعبد الناس. ( )

ب. كان رسول الله ﷺ ربعة من القوم. ( )

ج . كان رسول الله ﷺ أزهد الناس. ( )

د. كان رسول الله ﷺ أجود الناس. ( )

هـ. كان رسول الله ﷺ مفلج الأسنان. ( )

دوافع اهتمام المسلمين بالسنّة

قال تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» [1].

وقال ﷺ: (**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**) [2].

لقد حظيت السنّة النبوية الشريفة باهتمام المسلمين وعنايتهم في مختلف أزمنتهم وأمكنتهم، وصنفت فيها كتب جامعة، ولا نبالغ إذا قلنا إنه لم يحظ علم من العلوم بمثل ما حظيت به سنّة النبي الكريم ﷺ، فعشرات الآلاف من العلماء والحفّاظ وطلبة الحديث كانوا يواصلون البحث عن أحاديث النبي ﷺ، حتى كان أحدهم يرحل من الشام إلى مصر ليسمع حديثاً واحداً ويقف عليه. وتنوعت علوم السنّة وكثرت حتى زادت على ستين علماً، ولكل علم رجاله وكتبه، وبلغت شأوًا عظيماً في المنهج العلمي والبحث النقدي، فتمت صيانة سنّة النبي ﷺ من التحريف والزلل.

ومازالت جهود العلماء في هذا الميدان تصل الماضي بالحاضر، وها نحن اليوم ندخل عالم الحاسوب فنجد العلماء يوظفون هذه الآلة في جمع ما يصعب جمعه من الأحاديث، وفي تصنيف ما يعسر تصنيفه منها. فما سر هذا الاهتمام؟ وما الدوافع الباعثة عليه؟

تأمل الآية الكريمة في مطلع هذا الدرس، وتأمل الحديث الشريف بعدها فماذا تستنتج؟ لقد أرسل الله تعالى محمدًا ﷺ وفوّض إليه مهمة البلاغ عنه سبحانه. وأمر الناس كافة باتباع سنة النبي ﷺ فيما يقول أو يفعل أو يتصف به من الأخلاق والفضائل، وجميع أقواله وأفعاله بعد النبوة وحي، وهي إلى جانب الكتاب مصدر التشريع والأحكام. هذه هي أبرز الدوافع لاهتمام المسلمين بالسنة ، وفيما يلي بيان لهذه الدوافع:

١ – الأمر الإلهي:

إن التمسك بالسنّة والحفاظ عليها مما فرضه الله تعالى على عباده، ولا يملك المسلم أمام هذا الأمر إلا الامتثال والطاعة. تأمل قوله تعالى: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟)، تجد أن هذه

١– الآية ٧ من سورة الحشر.

٢– رواه أبو داود والدارمي وابن ماجه.

الآية قد نصت على التمسك بالسنّة، فأصبح أمر النبي ﷺ من أمر الله تعالى ونهيه من نهيه، وهذا يدفع المسلم إلى البحث عن هديه ﷺ في أمره ونهيه وأخلاقه، ثم اتّباعه في كل ما صدر عنه، ولا إسلام ولا إيمان من غير اتّباع لأمر الله تعالى، باتباع أمر نبيه ﷺ ونهيه، وهو ركن الشهادة التي يدخل بها المكلف في دائرة الإسلام.

ولقد أمر النبي ﷺ باتباع سنته فقال: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[١]. والعض على السنّة بالنواجذ كناية عن شدة التمسك بها.

وقد حذّر الله تعالى كل من يخالف سنة النبي الكريم من الوقوع في الفتنة، سواء أكانوا أفراداً أم جماعات وشعوباً. قال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٢]. ولا شك أن استجابة الأمة لهذا الأمر يدفعها إلى الحفاظ على سنّة النبي ﷺ.

٢ – السنة وحي:

لقد نص القرآن الكريم على أن سنّة النبي ﷺ وحي، فقال: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ).[٣]

ولو تأملنا هذه الآية الكريمة نجد أنها تنفي عن الرسول ﷺ النطق عن الهوى، والهوى ميل بشري ناشئ عن عوامل الضعف الإنساني الذي لا يخلو منه إلا المعصوم، وبعد هذا النفي جاء الإثبات (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ)، وحتى لا يكون الوحي محتملاً لنوع من أنواع المجاز وصف بقوله «يُوحَىٰ».

ويؤكد النبي الكريم ﷺ موقع السنّة من الوحي في قوله: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه. ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، وإن ما حرّم رسول الله كما حرم الله»[٤]. وكفى بهذا باعثًا على الاهتمام بالسنّة الشريفة.

١– رواه أبو داود.

٢– الآية ٦٣ من سورة النور.

٣– الآيتان ٣ و٤ من سورة النجم.

٤– رواه أبو داود والدارمي وابن ماجه.

نشاط (١):

تأمل الحديث الشريف السابق وأجب عما يأتي:

١. ماذا تفهم من قوله ﷺ:" أوتيت القرآن ومثله معه "؟

٢. ماذا تفهم من قوله ﷺ: " ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن ..."؟

٣- السنّة بيان للقرآن الكريم:

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم وجعله دستور المسلمين إلى قيام الساعة. واحتوى القرآن الكريم كثيرًا من أصول الأحكام وقواعدها العامة، وجعل الله تفسير هذه الأحكام وبيانها في السنّة النبوية. قال تعالى: (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [١]. والقرآن الكريم من غير سنّة لا يمكن فهمه وتطبيقه. والذين يقبلونه وحده، كما يزعمون، ويشككون في السنّة إنما يحاربون القرآن الكريم بأسلوب ماكر قد يخفى على بعض المسلمين، لأنهم بذلك يعطلون القرآن عن العمل.

روى الخطيب بسند حسن أن عمران بن الحصين رضي الله عنهما كان جالساً ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن. قال: فقال له: ادنُ، فدنا. فقال: أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، تقرأ في اثنتين؟ أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً، والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أي قوم، خذوا عنا فإنكم والله إلا تفعلوا لتضلّنّ " [٢].

وما ذكره عمران بن الحصين رضي الله عنهما عن بيان السنّة لعدد ركعات الصلاة، يمكن تعميمه على بيانها لمواقيتها وهيئاتها وأركانها ومبطلاتها، وكذلك أحكام الزكاة من حيث بيان أنصبتها وشروط وجوبها ومقدار الواجب إخراجه من كل نوع من الأموال.

١- الآية ٤٤ من سورة النحل.

٢- رواه ابو داود والدار قطني وابن ماجه.

نشاط (٢):

في ضوء ما تقدم من الشرح ، بيّن المراد بالعبارتين الآتيتين:

قال الإمام الأوزاعي: " الكتاب أحوج إلى السنّة من السنّة إلى الكتاب ".

وقال الإمام الشافعي: " القرآن وعاء، والسنّة غطاء ".

٤- السنّة مصدر للتشريع والتوجيه:

لما كان القرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية ، وكانت السنّة النبوية بياناً له ، فهي إذن مصدر آخر للتشريع كذلك ، بل إن السنّة النبوية قد أضافت كثيراً من الأحكام الشرعيّة إلى ما في القرآن الكريم، فقد ورد في القرآن تحريم الجمع بين الأختين في الزواج ، وأضافت السنة إلى ذلك تحريم الجمع بين المرأة وعمتها . فعن أبي هريرة ﷺ قال : «لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها» [١] .

كما أضافت السنّة كثيرًا من التوجيهات والآداب المتعلقة بالطعام والشراب واللباس والزينة والطريق والصحبة والجهاد إلخ .. ولا شك أن هذا الأمر من أقوى الدوافع التي دعت المسلمين إلى جمع السنة وتدوينها والاهتمام بها.

٥- السنّة مصدر للتأسي والاقتداء:

لقد كان فضل الله على الناس كبيراً عندما اختار محمداً من بني البشر ليكون للعالمين نذيراً. فهو من حيث بشريته إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولكنه مع ذلك أنموذج بشري يجمع بين الفضائل والمحامد، وهو سيد ولد آدم وإمام المتقين وهو الأسوة والقدوة في كل جانب من جوانب الحياة الإنسانية، في الدعوة والعبادة، والجهاد والصبر والشجاعة، وهو الكامل أباً وزوجاً وقائداً ومعلماً. وجميع صور كماله حفظتها لنا السنّة النبوية أقوالاً وأفعالاً وصفات وتقريرات. وصدق الله العظيم إذ يقول: (لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا) [٢] .

إن السنّة الشريفة تجعل من شخص الرسول الكريم حيّا بين أظهرنا، وتمكننا من الاقتداء به، فنقتبس من هديه وفضائله، وهذا لا يأتي بغير الاهتمام بالسنّة، والمحافظة عليها والتمسك بها.

١- أخرجه البخاري .

٢- الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

التقـويـــم

١- هات دليلاً من القرآن وآخر من السنّة على أن سنّة الرسول ﷺ واجبة الاتباع.

٢- بيّن أهمية السنّة النبوية في التشريع الإسلامي مؤيداً قولك بالدليل.

٣- هات ثلاثة أمثلة على بيان السنّة النبوية للقرآن الكريم.

٤- قال الرسول ﷺ : (ألا إني أوتيتُ القرآن ومثله معه) بيّن دلالة لفظ (أوتيتُ) على أن السنّة وحي من عند الله تعالى.

٥- فيما يلي عدد من العبارات، اقرأها وصنفها في قائمتين، الأولى تتناول مظاهر الاهتمام بالسنّة، والثانية تتناول دوافع ذلك الاهتمام:

السنّة مصدر للتأسي، تدوين السنّة، الأمر الإلهي باتباع السنّة، الرحلة في طلب الحديث، السنّة مصدر للتشريع والتوجيه، علم الجرح والتعديل.

٦- ضع دائرة حول رمز الجواب الصحيح في الفقرتين الآتيتين:

- **قوله ﷺ في شأن السنّة النبوية (عضّوا عليها بالنواجذ) يعني:**

أ - نبذ السنّة.

ب - اختيار المناسب منها.

ج - التمسك بها جميعها.

د - اتباع الفرائض منها.

- **تتمثل علاقة السنّة بالكتاب، في كونها:**

أ - تبين أحكامه المجملة.

ب - تؤكّد ما جاء فيه.

ج - تضيف أحكامًا جديدة إليه.

د - جميع ما ذكر صحيح .

تدوين السنّة

كيفية تلقي الصحابة الحديث عن الرسول ﷺ:

كان الصحابة يتلقون الحديث عن الرسول ﷺ مرة بطريق السماع منه عندما يقول ويتكلم، ومرة أخرى بطريق المشاهدة ورؤيتهم له عندما يفعل، و لم يقتصر الصحابة في تلقي الحديث عن الرسول ﷺ وحده، بل كانوا يتلقون سماع ما فاتهم عن الرسول من الصحابة الذين سمعوا الرسول ﷺ؛ ذلك لأنهم لم يكونوا جميعًا يحضرون كل مجالسه ﷺ، بل كان بعضهم يتخلف لبعض حاجاته من تجارة أو زراعة أو رعي أو غير ذلك من أمور الحياة.

عناية الصحابة بتلقي الحديث عن الرسول ﷺ:

حرص الصحابة رضي الله عنهم كل الحرص على كل ما يصدر عن نبيهم من أقوال وأفعال، وما يقوم به من أعمال، وحفظوا منه كل أحواله وشئونه. ومن شدة حرصهم على تلقي الحديث عن نبيهم كانوا يُحضرون أولادهم معهم إلى مجالس رسول الله ﷺ في المسجد ليسمعوا منه، فيتفقهوا في الدين، ويتأدبوا بآداب الإسلام. وعناية الصحابة بتلقي الحديث عن رسول الله ﷺ ترجع إلى الأسباب الآتية:

السبب الأول:

هو أنهم كانوا يعلمون أنهم مأمورون بالاقتداء بالرسول ﷺ واتباع سنّته لقول الله تعالى: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟)[1].

السبب الثاني:

هو أن الصحابة مطالبون بطاعة الرسول ﷺ؛ لأن في طاعته طاعة الله عزّ وجل، لقوله تعالى: (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ)[2].

السبب الثالث:

هو أن النبي ﷺ جعل السنّة قرينة للقرآن في وجوب العمل بها والتمسك بهديها، إذ يقول: (تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي)[3].

١- الآية ٧ من سورة الحشر.

٢- الآية ٨٠ من سورة النساء.

٣- رواه الحاكم.

السبب الرابع:

هو أن النبي ﷺ كان يحث الصحابة على حفظ السنّة وتبليغها للناس كما سمعوها منه، إذ يقول: (نضّر الله امرأ سمع مقالتي، فحفظها، ووعاها، وأداها) [١].

حفظ الصحابة للحديث صدراً:

كان العرب يعتمدون على ذاكرتهم وحدها فيما يودون حفظه واستظهاره؛ لذا كانت صدورهم دواوين أشعارهم، وسجلات أحسابهم وأنسابهم، فلما جاء الإسلام وبهرهم نوره وملك عليهم كل مشاعرهم دخلوا فيه بحب خالص، وإيمان صادق يتلقفون كل ما يصدر عن نبيهم من أقوال وأفعال، ونصح وإرشاد بقلوب واعية وآذان مصغية، فتمكنت أفعال الرسول من نفوسهم، واستقرت أقواله في عقولهم، وقد وجدت أمور كثيرة ساعدتهم على حفظ السنّة في صدورهم، منها:

١ – ما امتاز به العرب الخلّص، وطُبعوا عليه من صفاء الذهن وقوة الحافظة.

٢ – شدة حرصهم على كل ما يصدر عن نبيهم حرصاً لم توفق إلى مثله أمة من الأمم؛ فقد وجدوا في أقواله وحياً، وفي أفعاله شرعاً، وفي جميع أحواله نوراً وهدياً.

٣ – لم يكتف الصحابة بسماع السنّة من الرسول فقط وإنما طبقوها عملياً في جميع تصرفاتهم وشؤونهم، والذي يحفظ آثار الأنبياء في أممهم هو التطبيق العملي لأقوالهم وأفعالهم، ولهذا كان السلف الصالح يستعينون على حفظ الحديث بالعمل به.

٤ – ما امتازت به عبارة النبي ﷺ من البلاغة، والفصاحة، والإيجاز الذي بلغ حد الإعجاز، وهو ما جعل كلامه ﷺ سيد الكلام، يستقر في الأذهان قبل أن يردده اللسان.

٥ – ما كان من هدي النبي ﷺ في تعليم أصحابه، فقد كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تُفهم منه، وتُحفظ عنه، وكان بعض الصحابة يحفظ ما يسمعه من مرة واحدة.

نهي الرسول ﷺ عن تدوين السنة أول الأمر:

نهى الرسول ﷺ الصحابة عن كتابة السنّة وتدوينها، وأذن لهم بكتابة القرآن فقط إذ قال: (لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، ومن كتب شيئاً فليمحه) [٢].

١– رواه البيهقي.

٢– رواه مسلم.

وسبب هذا النهي هو أن الرسول ﷺ رأى بعض الصحابة يجمع بين كتابة السنّة والقرآن في صفحة واحدة، فخشي أن يلتبس القرآن بالسنّة، كما خشي أن ينشغل الصحابة بكتابة السنّة عن حفظ القرآن وتلاوته، ورأى أن كتابة السنّة تجعلهم يعتمدون على الكتابة ويتركون ما طبعوا عليه من الحفظ في الصدور، وخاصة أن أدوات الكتابة لم تكن ميسرة عندهم، من أجل هذا كله وجد الرسول ﷺ أن الاكتفاء بكتابة القرآن وحده أحق وأجدر.

إذن الرسول ﷺ لبعض الصحابة بتدوين السنّة:

أذن الرسول ﷺ لبعض الصحابة بكتابة السنّة بعد أن نهاهم عندما أَمِن على القرآن من الالتباس والاختلاط بغيره من الحديث، وبعد ما عرف أن القرآن استقر في قلوب أصحابه بألفاظه ومعانيه، وبهذا الإذن أصبح تدوين السنّة عملاً مشروعاً، لكنه كان تدويناً فردياً، فقد ثبت أن بعض الصحابة كانت لهم صحف يُدونون فيها بعض ما سمعوه من رسول الله ﷺ، كصحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي دوّن فيها أحاديث: أحكام الدية، وفِكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر [١]. وصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه التي كان يسميها (الصادقة). يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو فقد كان يكتب ولا أكتب)[٢].

وكتابة عبد الله بن عمرو لفتت أنظار بعض الصحابة الذين قالوا له: إنك تكتب عن رسول الله ﷺ كل ما يقول، ورسول الله ﷺ قد يغضب، فيقول ما لا يتخذ شرعاً، فرجع عبد الله بن عمرو إلى رسول الله ﷺ وذكر له ذلك، فقال له الرسول ﷺ: (اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج من فمي إلا الحق) [٣].

وإذن الرسول ﷺ لبعض الصحابة بالتدوين يدل على أن أحاديث الإذن ناسخة لحديث النهي، وانقضى العصر النبوي والذين كتبوا الحديث من الصحابة عدد قليل، وبقي الاعتماد عند أكثرهم على الحفظ ذهنا، والضبط صدرا، ولم تخرج السنّة إلى دائرة التدوين العام إلا في آخر عصر التابعين وأول عصر أتباع التابعين.

١- رواه الإمام أحمد.

٢- رواه ابن عبد البر.

٣- رواه البخاري.

التدوين العام للسنّة وتصنيفها:

انقضى عصر النبوة و لم تدوّن السنّة تدويناً عاماً، فلما كان عصر الخلفاء الراشدين فُتحت بلاد فارس والروم فاتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل كثير من أهل تلك البلاد في الإسلام، واحتاجوا إلى من يعلمهم أمور دينهم، ويحكم بينهم في الخصومات التي تقع بينهم، فخرج حُفاظ الحديث من الصحابة وكبار التابعين إلى تلك البلاد، فتكونت منهم دوائر علمية ومراكز دينية لتعليم الناس وتبليغهم حديث رسول الله ﷺ، إلى أن كان عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فرأى أن من الضرورة جمع السنّة وتدوينها تدويناً عاماً خشية أن يضيع منها شيء بسبب ما رآه من موت بعض حفاظ الحديث وظهور الكبر على بعضهم، خاصة وأنه ظهر جيل جديد لم تكن لهم موهبة الحفظ التي كانت للصحابة وكبار التابعين، من أجل هذا أمر عمر بن عبد العزيز بعض العلماء بجمع السنة من أفواه الحفاظ وتدوينها.

روى الإمام مالك في الموطأ أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله على المدينة أبي بكر محمد بن عمرو (أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم [1] وذهاب العلماء) [2].

وكتب بذلك أيضًا إلى جميع عمّاله في البلاد المختلفة، وقام العلماء بجمع السنة من أفواه الحفّاظ وتدوينها، وهكذا وفّق الله عمر بن عبد العزيز ﷺ لحفظ السنّة بالتدوين في سجلات تحميها من الضياع.

طريقة التدوين في القرن الثاني:

دوّن العلماء السنّة وصنّفوها على الترتيب الفقهي، فكانوا يجمعون الأحاديث التي تتعلق بموضوع واحد، ويجعلونها تحت باب واحد، فيجمعون أحاديث الصلاة وحدها تحت باب الصلاة، وكذلك الزكاة، والصيام، ثم يضمّون الأبواب بعضها إلى بعض في كتاب واحد، وكانوا يكتبون مع أحاديث الرسول ﷺ أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، كما كانوا كذلك يذكرون ما عليه عمل أهل المدينة.

ومن أشهر المصنفات في هذا القرن موطأ الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة المدني الفقيه، صاحب المذهب المشهور، وكانت وفاته سنة (١٧٩) هـ.

١- أي خفتُ ضياع السنّة بموت الحفاظ.

٢- رواه البخاري.

طريقة التدوين في القرن الثالث:

نهج أهل القرن الثالث منهجاً جديداً في تدوين السنّة غير الذي كان عليه أهل القرن الثاني، وقد تميّز منهجهم بما يأتي:

أولاً: أفردوا حديث رسول الله ﷺ بالتدوين، فلم يذكروا معه أقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم.

ثانياً: الكتب التي صنّفها العلماء في هذا القرن جمعوها بمجهودهم الخاص، و لم يأخذوها من كتب الحديث السابقة.

ثالثاً: كان علماء هذا القرن على قسمين، كل قسم اتخذ له منهجًا خاصًا في كتابه:

القسم الأول: كان يخص الحديث الصحيح وحده بالتصنيف، مثل البخاري ومسلم وغيرهما ممن التزم في كتابه رواية الحديث الصحيح فقط.

القسم الثاني: كان يجمع الحديث الصحيح بغيره، مثل أصحاب المسانيد والسنن.

ومن أشهر المصنفات في هذا القرن صحيح الإمام البخاري المتوفى سنة (٢٥٦هـ)، وصحيح الإمام مسلم المتوفى سنة (٢٦١هـ)، وسنن أبي داود المتوفى سنة (٢٧٥هـ)، وسنن الإمام النسائي المتوفى سنة (٣٠٣هـ)، وسنن الإمام ابن ماجه المتوفى سنة (٢٧٣هـ)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤١هـ)، ومسند الإمام الشافعي المتوفى سنة (٢٠٤هـ).

التقـويـــم

١- ما الطريقة التي كان يتلقى بها الصحابة الحديث عن الرسول ﷺ؟

٢- اذكر ما يدل على حرص الصحابة على تلقي الحديث عن الرسول ﷺ؟

٣- ما الأسباب التي دعت الصحابة إلى العناية بتلقي الحديث؟

٤- ما الأمور التي ساعدت الصحابة على حفظ السنّة؟

٥- (كان بعض السلف يستعينون على حفظ الحديث بالعمل به)، اشرح ذلك.

٦- قال رسول الله ﷺ: (لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، ومن كتب شيئاً فليمحه)، اشرح هذا الحديث مبينًا سبب النهي في ضوء ما درست.

٧- اكتب نبذة موجزة عن:

أ- الصحيفة الصادقة.

ب- صحيفة الإمام علي رضي الله عنه.

٨- (كان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دور عظيم في حفظ السنّة وتدوينها) وضّح هذا الدور.

٩- ما مميزات التدوين في القرن الثالث الهجري؟

١٠- ضع علامة (√) أمام العبارات الصحيحة فيما يأتي:

أ - تم تدوين السنة في حياة الرسول ﷺ تدويناً عاماً. ( )

ب- امتازت عبارة الرسول ﷺ بالفصاحة والبلاغة والإيجاز. ( )

ج - دُونت السنة وصنفت على الترتيب الفقهي في القرن الثاني. ( )

د - من أشهر المصنفات في القرن الثالث موطأ الإمام مالك. ( )

هـ- الكتب التي دوّنها العلماء في القرن الثالث جمعوها بمجهودهم الخاص. ( )

الحديث النبوي والحديث القدسي

الحديث النبوي:

هو: ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خِلقية أو خُلقية.

بأن يضيف فيه الصحابي القول أو الفعل أو الصفة إلى الرسول ﷺ بلفظ صريح لا يحتمل التأويل، كأن يقول: (قال رسول الله...) أو (فعل رسول الله ...) ومثال ذلك: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورّثه) [١].

الحديث القدسي:

هو: ما أضيف إلى النبي ﷺ، حاكيًا إياه عن ربه، بأن أسند فيه القول إلى الله تعالى.

وسبب تسميته حديثاً: أن الرسول ﷺ هو الحاكي له عن ربه، وخصّ باسم (القدسي) نسبة إلى القدس الذي هو الطهـر؛ لتعلـقه بالله عـز وجـل لأنه قائـله. ومثال ذلك: ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: (أعددتُ لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [٢].

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

(أ) **الحديث القدسي**: لفظه ومعناه كلاهما من الله سبحانه وتعالى، موحى بهما إما بوحي ظاهر وذلك بنزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ يقظة، أو بوحي خفي كإلهام أو منام [٣].

(ب) **أما الحديث النبوي**: فلفظه من عند النبي ﷺ، ومعناه من عند الله تبارك وتعالى؛ لأنه ﷺ (مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ) [٤].

والمعنى تارة يكون بوحي ظاهر، وتارة يكون بوحي خفي كإلهام أو منام، وتارة يكون باجتهاد منه

١- رواه البخاري.

٢- رواه البخاري.

٣- إلهام الأنبياء ومنامهم حق وصدق، لأن إلهامهم ومنامهم يصحبهما العلم اليقيني بأنه من عند الله، لذا كان الرسول ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

٤- الآيتان ٣ و٤ من سورة النجم.

ﷺ. واجتهاد الرسول ﷺ منزّل منزلة الوحي، إذ لا يقر على خطأ، مثل حديث ابن عمر الذي قال فيه: (حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير، فنزلت: (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ [١] أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا [٢] فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ)[٣].

وقد يتساءل الإنسان: إذا كان الحديث القدسي لفظه ومعناه من عند الله، والقرآن الكريم كذلك. فما الفرق بينهما؟

الفرق بين الحديث القدسي والقرآن:

فرّق العلماء بينهما بفروق أربعة:

الفرق الأول:

من جهة الوحي، فوحي القرآن نزل بحالة واحدة وهي الوحي الظاهر، وذلك بأن ينزل جبريل عليه السلام بالآية أو السورة على النبي ﷺ وهو في كامل يقظته. أما الحديث القدسي فيكون بوحي ظاهر أو بوحي خفي، كالإلهام أو المنام.

الفرق الثاني:

من جهة الرواية، فالقرآن الكريم نُقل إلينا كله بطريق التواتر عن النبي ﷺ، أما الحديث القدسي فقد يُنقل إلينا بطريق الآحاد.

الفرق الثالث:

أن القرآن الكريم معجز للإنس والجن، والحديث القدسي ليس كذلك.

الفرق الرابع:

القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى، أما الحديث القدسي فتجوز روايته بالمعنى لمن لم يتمكن من أدائه باللفظ.

وقد اهتم العلماء بجمع الأحاديث القدسية في مؤلفات خاصة، من أهمها كتاب (الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية) للمُناوي، جمع فيه (٢٧٢) حديثا.

١- أي نخلة.

٢- أي على سوقها.

٣- الآية ٥ من سورة الحشر والحديث رواه البخاري.

التقـويـــم

١ – عرّف الحديث القدسي، وبيّن وجه نسبته إلى القدس.

٢ – ما الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي؟ مع التمثيل لما تذكر

٣ – تحدّث عن أنواع الوحي، واذكر الفرق بينها في ضوء ما درست.

٤ – اكتب نصاً قرآنياً يدل على أن رؤيا الأنبياء في المنام حق وصدق.

٥ – لماذا كان اجتهاد الرسول ﷺ منّزل منزلة الوحي؟

٦ – قارن بين كلٍّ مما يأتي:

(أ) الحديث النبوي والقرآن الكريم.

(ب) الحديث القدسي والقرآن الكريم.

٧ – ضع علامة (√) أمام العبارات الصحيحة فيما يأتي:

أ – نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ بطريق الإلهام. ( )

ب – الحديث النبوي لفظه ومعناه من عند الرسول ﷺ. ( )

جـ – تجوز رواية الحديث القدسي بالمعنى. ( )

د – يجوز للمُحْدث قراءة الحديث القدسي ومسه. ( )

هـ – الحديث القدسي معناه من الرسول ولفظه من الله. ( )

و – تجوز رواية القرآن الكريم بالمعنى. ( )

النشاط:

يقسّم العلماء الحديث من حيث قائله إلى ثلاثة أقسام:

١ –الحديث المرفوع: وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية.

٢ – الحديث الموقوف: وهو ما أضيف إلى الصحابي من قوله أو فعله.

٣ – الحديث المقطوع: وهو ما أضيف إلى التابعي من قوله أو فعله.

ابحث في كتب مصطلح الحديث المتوافرة في مركز مصادر التعلم بمدرستك عن هذه الأقسام الثلاثة، واستخرج منها مثالاً لكل قسم.

الصحابة والتابعون

قال تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [1].

وقال النبي ﷺ: (**خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**) [2].

إن أول هذه الأمة النبي ﷺ، وهم المقصودون بقوله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)، وهم الذين وصفهم النبي ﷺ بأنهم خير القرون. فالآية والحديث يرفعان من ذكر الصحابة؛ لأنهم الجيل الذي استجاب لدعوة النبي الكريم ﷺ، وتحمّل في سبيل هذه الدعوة الأذى في النفس والنفيس، فترك الأوطان، وهجر الأهل، نصرة لله وتأييداً لدينه.

عناية المحدثين بالصحابة:

لما كان الصحابة شهود عصر النبوة، الآخذين عن رسول الله ﷺ ما أُنزل عليه من الكتاب، وما صدر عنه من السنّة، وهم مبدأ السنّة بعد رسول الله ﷺ، فقد اعتنى المحدثون بالتعريف بهم وبيان فضلهم عناية فائقة. فحصروا مسانيدهم ورواياتهم، وألّفوا كتباً خاصة في معرفة الصحابة، وعقدوا فصولاً لبيان مناقبهم.

من هو الصحابي؟

الصحابي في اللغة مشتق من الصحبة، يقال: صحب فلان فلاناً، أي لازمه، أو صار معه. وليس للصحبة مدة محددة ، فقد تكون دهراً، وقد تكون ساعة.

وأما الصحابي في مصطلح المحدثين: فهو كل مسلم لقي النبي ﷺ بعد بعثته، حال حياته، ومات على الإيمان.

وبيان هذا التعريف فيما يأتي:

١ –أن يكون مسلماً: فلا يعتبر الكافر صحابياً، مهما طال لقاؤه مع النبي ﷺ. ولقد لقي كثير من كفار العرب وكفار اليهود رسول الله ﷺ، ولكنهم لم يكتسبوا شرف صحبة النبي ﷺ.

١–الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

٢– رواه البخاري.

٢ –أن يلتقي بالنبي ﷺ مهما كانت مدة اللقاء: ويستوي في ذلك الكبير الراشد، والطفل المميز والطفل الرضيع وحديث الولادة. فهؤلاء جميعاً يشملهم شرف الصحبة.

٣ –أن يكون اللقاء بعد بعثة النبي ﷺ لا قبلها: فإذا لقيه قبل البعثة وكان كافراً عند اللقاء، ثم أسلم و لم يلقه بعد إسلامه، فلا ينال شرف الصحبة.

٤ –أن يموت على الإسلام: فلو لقي النبي ﷺ مسلماً، ثم ارتد عن الإسلام، فإن الصحبة تزول عنه، مثل عبيد الله بن جحش، فقد أسلم، ولقي النبي ﷺ ثم هاجر إلى الحبشة، ثم ارتد عن الإسلام، ومات على النصرانية.

نشاط:

تدبّر شروط الصحابي آنفة الذكر، ثم أجب عن الأسئلة الآتية:

هل يوصف بالصحبة أبو لهب؟ ولماذا؟

هل يوصف بالصحبة حيي بن أخطب اليهودي؟ ولماذا؟

هل يوصف بالصحبة من أسلم في حياة النبي ﷺ ومات النبي ﷺ و لم يلقه؟

عدالة الصحابة وفضلهم:

قال الخطيب البغدادي: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم، فمن ذلك قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)[١]. وقوله: (لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ)[٢]. وقوله: (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ)[٣]. وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق[٤].

وعدالة الصحابة لا تعني ثبوت العصمة لهم وخلوهم من المعصية ، إنما المراد قبول روايتهم عن رسول الله ﷺ، من دون الحاجة إلى البحث عن تزكيتهم، اعتماداً على تزكية الله لهم، وتزكية النبي ﷺ.

وأما ما حدث بين الصحابة من اختلاف وقتلى بعد النبي ﷺ، فهذا لا يؤثر في عدالتهم، وتُفهم مواقفهم على أنهم مجتهدون، والمصيب واحد، والمخطئ في اجتهاده معذور.

١– الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

٢– الآية ١٨ من سورة الفتح.

٣– الآية ١٠٠ من سورة التوبة.

٤– الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ص ٩٣.

متى تُقبل رواية الحديث عن الصحابي؟

استحق الصحابة منزلة رفيعة في رواية الحديث، لأنهم يأخذون مباشرة عن النبي ﷺ، ولا يكون هذا الأخذ المباشر إلا إذا أدرك الصحابي النبي ﷺ وهو في سن تمكّنه من سماع الحديث وتلقيه.

أما إذا أدرك الصحابي النبي ﷺ وهو دون سنّ التمييز فلا يصح تلقيه المباشر، وعندئذ يكون بينه وبين النبي وسائط لا تعرف عدالتها، وقد تكون هذه الوسائط من غير الصحابة.

وقد اعتبر الإمام البخاري سنّ الخامسة سنّ تمييز للرواية، فروى حديث محمود بن الربيع رضي الله عنه الذي يقول فيه: عقلتُ مجةً مجها رسول الله ﷺ، من دلو في دارنا «وكان يومها ابن خمس سنين»[1].

التابعون:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

إذا تأملت الآية الكريمة فإنك ستجد فيها ذكر فئتين من الناس، الأولى فئة الصحابة من المهاجرين والأنصار، والثانية فئة التابعين لهم بإحسان. وقد عرفنا أن الصحابة خير الخلق بعد الأنبياء، وكذلك التابعون فهم خير الخلق بعد الصحابة. قال ﷺ: " خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

والتابعي هو الذي صحب الصحابي. ولا عبرة بكبر السن أو صغره ليوصف المرء بهذه الصفة، وبعض التابعين كانوا أسلموا في عهد النبي ﷺ و لم يلقوا النبي ﷺ، ولكنهم لقوا الصحابة وأخذوا عنهم، ومن هؤلاء قيس بن أبي حازم، وأبو مسلم الخولاني وغيرهما، ومن التابعين من ولدوا بعد وفاة النبي ﷺ.

طبقات التابعين:

الطبقة هم القوم المتشابهون في الزمن والعمر، والتابعون طبقات، وأهم الطبقات:

١ –طبقة كبار التابعين: وهم الذين أكثروا من مجالسة الصحابة، وكانت رواياتهم عن الصحابة أكثر من رواياتهم عن التابعين أمثالهم، ومنهم سعيد بن المسيب والحسن البصري وغيرهما.

٢ –طبقة صغار التابعين: وهم الذين أدركوا بعض الصحابة، وقلّت رواياتهم عن الصحابة، وأكثروا من رواية الحديث عن تابعين مثلهم. ومنهم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

١– أخرجه البخاري.

التقـويـــم

١ – من يوصف بالصحبة من هؤلاء؟ علّل إجابتك.

أ . أصحمة ملك الحبشة: (دخل في الإسلام و لم يلق النبي ﷺ، وصلى عليه النبي صلاة الغائب).

ب . قيس بن أبي حازم: (أسلم في عهد النبي ﷺ، و لم يلقه).

ج . عبد الله بن أبي السرح: (أسلم ولقي النبي ﷺ وكتب له الوحي، ثم ارتدّ، ثم عاد إلى الإسلام في فتح مكة).

د . محمد بن أبي بكر: (ولد في حجة الوداع وحُمل إلى النبي ﷺ فدعا له).

٢ – هل الصحابة معصومون من الخطأ والمعاصي؟ وهل يؤثر ذلك في روايتهم؟

٣ – ما حكم رواية الصحابي غير المميز عن النبي ﷺ؟

٤ – اذكر الشروط التي يجب توافرها لتتحقق الصحبة؟

٥ – اذكر آية في فضل الصحابة.

٦ – اذكر حديثاً شريفاً يبيّن فضل الصحابة؟

٧ – ما معنى التابعي؟

٨ – اذكر آية تبين فضل التابعين، وارجع إلى تفسيرها في أحد كتب التفسير.

٩ – سمّ ثلاثة من التابعين الذين تحفظ أسماءهم.

الوضع في الحديث

لم يظهر الكذب بين الناس على عهد رسول الله ﷺ، وذلك لما كان عليه أهل ذلك العصر من الإيمان الراسخ والصدق في القول والعمل والجهاد، ولحضور شخص النبي ﷺ الذي يجعل الرجوع إليه ممكناً. واستمرت الحال كذلك بعد وفاة النبي ﷺ، إلى أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية واختلط الأشرار بالأخيار ودخل في الإسلام من لم يكن صادق الإيمان، ومنهم من أبطن الكفر وأظهر الإسلام. وأصبح من هؤلاء دعاة إلى الفتنة والكيد للإسلام وأهله.

و لم يتمكن هؤلاء من الطعن في القرآن الكريم لأنه محفوظ في الصدور منقول بالتواتر، فعمدوا إلى حديث النبي ﷺ ليدخلوا فيه ما ليس منه، ظانين أن بمقدورهم أن يفسدوا على المسلمين هذا المصدر العظيم الذي يعتمدون عليه في بيان القرآن ومعرفة الأحكام، فصاروا يختلقون الأحاديث لتأييد أغراضهم الخبيثة.

ولما كانت السنّة الشريفة مبيّنة للكتاب، ومكملة لأحكامه فقد حاطها الله بحفظه، وهيأ لها رجالا أوفياء من الأصحاب والأتباع، وعدداً غفيراً من العلماء والنقاد، فكانوا بالمرصاد لكل مفتر كذاب، يكشفون زيفه، ويحاصرون كذبه، ويحذرون الناس منه.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه: «أن بشيرًا العدوي جاء إلى ابن عباس، رضي الله عنهما، فجعل يحدث، ويقول: قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، فقال: يا ابن عباس، ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف» [1].

١- رواه مسلم.

نشاط (١):

تأمل النص السابق، ثم أجب عما يأتي:

١ – ما معنى: فجعل ابن عباس لا يأذن له؟

٢ – ما معنى: ابتدرته أبصارنا؟

٣ – ما معنى: فلما ركب الناس الصعب والذلول؟

الوقاية من الوضع:

جاء الكذابون فوجدوا أمامهم منهجاً صلباً، لا يمكن اختراقه، ويتلخص هذا المنهج بما يأتي:

١ –تحذير النبي ﷺ من الكذب عليه، فكان تحذيره تهيئة للأذهان، كي تستعد لمواجهة الكذابين، فقال ﷺ: " من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" [١].

٢ –ظهور الإسناد وتسمية الرجال الذي يروون الحديث، فإذا عرفوا بصدقهم وعدالتهم قبلت روايتهم، وإلا فإنها ترد.

٣ –إشاعة الحديث الصحيح ومدارسته والرحلة في طلبه، حتى عرف الصحيح من السقيم والصدق من الكذب.

أسباب الوضع:

لا يصدر الكذب إلا عن نفس فاسدة خبيثة. وقد تختلف الأسباب والأغراض التي تحمل الكاذب على الكذب. وبتتبع سير الكذّابين الذين وضعوا الحديث تبين أن أسباب الوضع ترجع إلى واحد من الأمور الآتية:

١ – الكيد للإسلام والتشكيك به:

فقد دخل في الإسلام أناس لم يصدقوا في إيمانهم، فأبطنوا الكفر، وأظهروا الإسلام، ليخدعوا المسلمين بظواهرهم الكاذبة، فلفّقوا أحاديث لا تنسجم مع الإسلام وقواعده، وذلك للتشكيك بالإسلام والنيل منه. فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي» [٢]. ولكن أحد الكذّابين وضع حديثاً يخالف هذا الحديث فقال: «أنا خاتم النبيين، ولا نبي بعدي إلا أن يشاء الله».

١– متفق عليه.

٢– أخرجه البخاري.

نشاط (٢):

قال ابن الجوزي في كتاب الموضوعات الكبرى (٢٧٩/١):

" هذا الاستثناء موضوع، وضعه محمد بن سعيد لما كان يدعو إليه من الإلحاد. شهد عليه بأنه وضعه جماعة من الأئمة منهم أبو عبد الله الحاكم، وهذا الرجل هو أبو عبد الرحمن محمد بن سعيد بن أبي قيس، قتله المنصور في الزندقة، وحديثه حديث موضوع ".

تأمل النص السابق وأجب عما يأتي:

١ – ماذا فعل محمد بن سعيد المصلوب؟

٢ – لماذا سمي المصلوب؟

٣ – إلى أي شيء كان يدعو محمد بن سعيد هذا؟

٢ – الانتصار للفرق الضالة:

عندما قامت الفتنة بين المسلمين، بفعل الدخلاء الكائدين للإسلام، ظهرت الفرق والبدع، واختفى المجرمون وراء هذه الفرق، يؤججون الخلافات والنزاعات ويجعلون لها شواهد من الأحاديث الموضوعة، لإقناع أتباعهم، وادعت كل فرقة أن الحقّ إلى جانبها، وأن لها فضلاً على غيرها. ومن ذلك الأحاديث التي وضعت في ذم القدرية والمرجئة، وأمثالها من الفرق. ومثال ذلك: «إن لكل أمة يهوداً، ويهود أمتي المرجئة» [١].

٣– الترويج للإسلام بالأخبار الموضوعة:

وقد ظهر قوم حملهم التدين المتلبس بالجهل على وضع أحاديث في الترغيب والترهيب لحثّ الناس على العبادة وعمل الخير، ومن هؤلاء محمد بن أحمد بن غالب المعروف بغلام الخليل، الذي كان يتزهد، ويهجر شهوات الدنيا، ومع هذا فقد كان يكذب، وقد قيل له: ولماذا تضع هذه الأحاديث؟ فقال: وضعناها لنرقق قلوب العامة.

١– ابن الجوزي، الموضوعات الكبرى، (٢٧٦/١).

٤ – تحقيق المكاسب الدنيوية الرخيصة:

فقد ابتليت بعض النفوس بالطمع والجشع وخسة النفس، وهو ما حمل أصحابها على ارتكاب جريمة الكذب على رسول الله ﷺ لتحقيق مكاسب مادية من المال أو ترويج التجارة، أو مكاسب معنوية في الجاه والشرف الزائل، ومن ذلك الأحاديث التي وضعت في فضائل بعض الأطعمة.

وكذلك الأحاديث الموضوعة لاسترضاء ذوي الجاه والتزلف إليهم، ومن ذلك ما فعله غياث بن إبراهيم عندما دخل على الخليفة المهدي فوجده يلاعب الحمام فقال: "لا سبق إلا في نصل أو حافر أو جناح" فأضاف على الحديث كلمة " أو جناح" زوراً وكذباً، ولكن المهدي أدرك مقصد هذا الكذّاب. وعرف الزيادة المكذوبة، فقال له عندما قام: أشهد بأن قفاك قفا كذّاب.

معرفة الموضوع:

استطاع علماء الحديث أن يميزوا الصحيح من الموضوع بمجرد السماع، وذلك بما تحقق عندهم من قوة الإدراك والتمييز لعبارات النبي ﷺ من عبارات غيره، ولما عرفوا من منهج النبوة والصدق الذي جاء به النبي ﷺ. وهناك مجموعة من القرائن والشواهد التي تساعد في الكشف عن الحديث الموضوع. نذكر منها:

١– اشتمال الحديث على مبالغات لا يقول مثلها النبي ﷺ وذلك مثل: ذكر الثواب العظيم على العمل اليسير، والعذاب الشديد على الذنب الصغير.

٢– تكذيب الحس له: فالحديث النبوي ينسجم مع فطرة الإنسان وتصدقه التجربة الإنسانية الصحيحة، فإذا نسب إلى النبي ﷺ قول كاذب مثل: "الباذنجان لما أكل له". في حين أثبتت التجربة، وأثبت الحس كذب هذا الادعاء، فالباذنجان لا يصلح لكل شيء، من الأمراض والأسقام. بل إن هذا اللفظ يتضمن أن يصلح للغنى والعلم وللشجاعة. والأمر ليس كذلك.

٣– سخافة المعنى وأنه يثير السخرية والضحك: إذ إن كلام النبي ﷺ كلام فصل ليس بالهزل، وهو من جوامع الكلم، يفيض بالمعاني العظيمة.

نشاط (٣):

تأمل النص التالي وأجب عن الأسئلة، قال ابن قيم الجوزية:

" ومنها سماجة الحديث، وكونه مما يسخر منه. كحديث: لو كان الأرز رجلاً لكان حليماً، ما أكله جائع إلا أشبعه" فهذا من السمج البارد الذي يصان عنه كلام العقلاء، فضلاً عن كلام سيد الأنبياء". المنار المنيف، ص ٥٤.

١- ما معنى: سماجة؟

٢- فسّر قوله: "يصان عنه كلام العقلاء، فضلاً عن كلام سيد الأنبياء ".

٤ - تناقض النص مع القرآن الكريم: هنالك أمور قطع فيها القرآن الكريم ولا مجال لقول آخر فيها. مثال ذلك: معرفة متى تقوم الساعة؟ فقد قرّر القرآن الكريم خفاء ذلك على جميع الخلق. فلا يعرف ميعادها أحد قال تعالى: (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى)[١]. فإذا جاء حديث فيه ذكر موعد الساعة وتاريخها، فهذا كذب على رسول الله ﷺ، لمناقضته لصريح القرآن الكريم.

٥ - مناقضة الحديث لما جاءت به السنّة الصحيحة: فإذا اشتمل الحديث على فساد أو ظلم أو مدح باطل، أو ذم حق، فرسول الله ﷺ منه بريء. ومن ذلك حديث مدح كل من اسمه أحمد أو محمد، وأنّ من تسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار!

قال ابن القيم: «وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه ﷺ أن النار لا يجار منها بالأسماء والألقاب، وإنما يجار منها بالإيمان والأعمال الصالحة»[٢].

٦ - مناقضة الحديث لبدهيات العقيدة: فهناك أركان للعقيدة، بيّنها القرآن الكريم، و لم يبق خفاء فيها. ومن ذلك توحيد صفات الله تعالى. فالله تعالى منزه عن صفات البشر. فإذا قيل: "إذا غضب الله تعالى أنزل الوحي بالفارسية، وإذا رضي أنزله بالعربية "، فهذا لا يليق بجلال الله تعالى، وكذلك ما نسب إلى الأنبياء الكرام من نقائص، فهذه تخالف بدهيات العقيدة.

١- الآية ١٨٧ من سورة الأعراف.

٢- ابن قيم الجوزية، المنار المنيف ، ص ٥٧.

التقـويـــم

١ – لماذا لم يظهر الكذب في الحديث في زمن النبي ﷺ؟

٢ – اذكر قصة تبيّن كيف واجه الصحابة الكذب على رسول الله ﷺ.

٣ – كيف استفاد المسلمون من الحديث الشريف: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" في مواجهة الكذب؟

٤ – اذكر سببين من أسباب الوضع في الحديث، ومثّل لكل واحد منهما بمثال.

٥ – هل استطاع الكذابون تحقيق مآربهم؟ ولماذا؟

٦ – أحد الكتب التالية يتعرض للكذابين في الحديث، عيّنه:

أ – فتح الباري.

ب – المنار المنيف.

ج – الكفاية.

٧ – اذكر قرائن الوضع في الأحاديث الآتية:

– أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله.

– الباذنجان لما أكل له.

٨ – مثّل لما يأتي:

– مناقضة الحديث لما جاءت به السنّة الصحيحة.

– مناقضة الحديث لبدهيات العقيدة.

الكتب الستة

القرآن الكريم والسنّة النبوية هما مصدرا التشريع في الإسلام، وكما دُوّن القرآن الكريم دُوِّنت أحاديث الرسول ﷺ حتى لا توجد اليوم رواية يُعتمد عليها غير مدوّنة.

وكتب الحديث المدوّنة كثيرة، وهي على درجات، من أشهرها وأوثقها:

(١) صحيح البخاري.
(٢) صحيح مسلم.
(٣) سنن أبي داود.
(٤) سنن الترمذي.
(٥) سنن النسائي.
(٦) سنن ابن ماجه.

وإليك الحديث عن أصحاب هذه الكتب، ومنهجهم فيها بشيء من التفصيل.

١ – الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح

نسبه ومولده:

هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري [١].

ولد في مدينة بخارى يوم الجمعة في ١٣ من شوال سنة (١٩٤) هجرية، وكان والده إسماعيل عالمًا تقيًا ورعًا، رُوي عنه أنه قال عند وفاته: (لا أعلم في مالي درهمًا من حرام ولا من شبهة).

فالبخاري رحمه الله من بيت علم، ودين، وورع، وقد ورث هذه الصفات الكريمة عن أبيه.

نشأته العلمية:

مات أبوه وهو صغير، فكفلته أمّه وأحسنت تربيته، وقد كان له من مال أبيه الذي تركه له ما أعانها على تربيته تربية كريمة صالحة، وقد ظهر نبوغه من صغره وهو في الكُتاب، فرزقه الله تعالى قلبًا واعيا، وحافظة قوية، فحفظ القرآن، وبدأ في حفظ الحديث وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، ثم التقى علماء بلده وعصره، فأخذ الحديث والعلم عنهم، ورحل إلى معظم الأقطار الإسلامية التي اشتهرت بالحديث،

١– نسبة إلى مدينة (بخارى) وهي من الإقليم المعروف بتركمستان الغربية بالاتحاد السوفيتي سابقاً.

فزار: الحجاز، والشام، ومصر، والبصرة، والكوفة، وبغداد، وكان لا يسمع بعالم إلا رحل إليه، وسمع منه، رُوي عنه أنه قال: (كتبتُ عن ألف وثمانين محدثا).

ولمّا بلغ السادسة عشرة من عمره المبارك خرج إلى بيت الله الحرام حاجا، وبعد أداء الفريضة آثر البقاء بمكة لطلب العلم؛ لأنها كانت من المراكز العلمية في الحجاز، وكان يذهب إلى المدينة بين الحين والحين، وفي الحرمين الشريفين ألف بعض كتبه، مثل كتاب (الجامع الصحيح) و (التاريخ الكبير) و (التاريخ الأوسط) و (التاريخ الصغير) وتواريخه الثلاثة تدل على قدرته الفائقة في معرفة أحوال رواة الحديث، فكان يقول: (قلّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة).

حبه للعلم واعتزازه به:

كان البخاري رحمه الله محبًا للعلم، دؤوبًا في تحصيله نهارًا واستذكاره ليلا، ومن شدة حرصه على العلم كان يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوقد السراج ويكتب الفائدة التي تمرّ بخاطره، ثم يطفئ سراجه، ثم يفعل ذلك قريبًا من عشرين مرة.

وكان شديد الاعتزاز بالعلم، يصونه عن الابتذال والسعي إلى بيوت السلاطين، فقد أرسل إليه أمير بُخارى أن يذهب إليه ليقرأ عليه وعلى أولاده كتاب (الجامع الصحيح في الحديث) فقال البخاري للرسول: قل للأمير: إني لا أُذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة فليحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبه هذا، فليمنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، أني لا أكتم العلم.

قوة حفظه:

كان البخاري في حفظه وذكائه وعلمه بأحوال رواة الحديث آية من آيات الله في الأرض، فكان يحفظ ثلاثمائة ألف حديث سندًا ومتنا، وممّا يدل على قوة حفظه أن علماء بغداد عقدوا له امتحانا قاسيًا فنجح فيه، فقد أحضروه مجلسهم، وأتوا بمائة حديث قلبوا متونها وأسانيدها، أي جعلوا متن هذا الحديث لإسناد ذاك الحديث، وإسناد هذا الحديث لمتن ذاك، ثم قرؤوها عليه، وكلما سمع حديثًا قال: لا أعرفه بهذا الإسناد، فلما فرغوا من قراءتها، قام وقرأها عليهم كما سمعها منهم، ثم قال: أما الحديث الأول فصحته كذا، والثاني صحته كذا . . . إلى أن فرغ من الأحاديث كلها، يذكر الحديث المقلوب ثم يذكر

صحته، فاعترف له علماء بغداد بقوة حفظه، وعلّق أحدهم فقال: ليس العجب من إدراكه الصواب، ولكن العجب كل العجب سرده للأحاديث على الترتيب الذي سمعه مرة واحدة.

سبب تصنيف الجامع الصحيح:

كان العلماء قبل البخاري يجمعون في مصنفاتهم بين الحديث الصحيح والضعيف، تاركين التمييز بينها إلى فطنة القارئ ومعرفته، فأراد البخاري أن يُفرد الحديث الصحيح وحده بالتصنيف كي يوفر على المسلم عناء البحث عن صحته، فتحركت همته لذلك بعد أن سمع شيخه إسحاق بن راهويه يتمنى جمع الحديث الصحيح وحده، ويقول لتلامذته: (لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح أحاديث الرسول ﷺ) قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي وعزمتُ عليه. من أجل هذه الأسباب وجد نفسه مدفوعًا للقيام بهذا العمل الجليل، فجمع صحيحه وانتقاه من ستمائة ألف حديث، فكان أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى في الأرض، وقد أمضى في جمعه وتمحيصه ستة عشر عاما.

طريقة تصنيفه:

قسّم البخاري كتابه إلى كتب، والكتب إلى أبواب، وبوّبه على الترتيب الفقهي، بدأه بأحاديث (بدء الوحي) لأنه الأساس لكل الشرائع، ثم ذكر أحاديث كتاب الإيمان، والعلم، والطهارة، والصلاة، والزكاة . . . وهكذا إلى أن ختمه بكتاب التوحيد.

وجملة ما فيه من الكتب (٩٧) كتابا، وعدد أحاديثه (٧٢٧٥) حديثا و لم يخلُ كتابه من الفوائد الفقهية التي استنبطها من حديث رسول الله ﷺ، ويتجلى فقهه في عناوين كتابه، فكان رحمه الله حافظا محدثا، وفقيها مجتهدًا.

منهجه في رواية الحديث:

الإمام البخاري من المتشددين في الرواية، فلم يخرج في كتابه إلا ما صحّ عنده عن رسول الله ﷺ بالسند المتصل الذي توافر في رجاله (العدالة) و (الضبط التام) و (ثبوت اللقاء بين الراوي والمروي عنه) و لم يكتفِ بإمكان المعاصرة بينهما.

ومع اتباعه هذا المنهج العلمي الدقيق في التحري عن الرواة، والتوثق من صحة المرويات، فقد استلهم

الجانب الروحي من نفسه، حيث يقول: (صنفتُ كتاب الجامع الصحيح في المسجد الحرام، وما أدخلتُ فيه حديثًا إلا استخرتُ الله، وصليتُ ركعتين، وتبينتُ صحته)، من أجل هذا كان كتابه أصح كتاب في الحديث، وتلقته الأمة بالقبول.

وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، توفي رحمه الله سنة (٢٥٦) هـ، ومن أهم الكتب التي تناولت صحيحه بالشرح والتحليل كتاب: (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) للحافظ ابن حجر العسقلاني.

التقـويـــم

١- أين وُلد البخاري؟ وماذا ورث من والده؟ ومن الذي تكفل برعايته؟ وماذا درس من العلوم في بدء حياته؟

٢- في حياة البخاري دروس عظيمة تستطيع الانتفاع بها في حياتك، تحدث عن بعض هذه الدروس.

٣- لماذا ارتحل البخاري إلى الأقطار الإسلامية؟ وفي أيّ بلد صنّف صحيحه؟

٤- اذكر من سيرة البخاري ما يدل على حبه للعلم واعتزازه به وصونه عن الابتذال.

٥- (كان البخاري آية من آيات الله في الحفظ والإتقان) اشرح ذلك في ضوء ما درست.

٦- ما الأسباب التي دفعت البخاري إلى تصنيف الجامع الصحيح؟

٧- صف كتاب البخاري وطريقة تصنيفه مستعينًا بالقراءة فيه.

٨- تحدث عن منهج البخاري في رواية الحديث، مع بيان منزلة كتابه الصحيح بين كتب السنّة.

٩- اقرأ حديث (إنما الأعمال بالنيات . . .) في فتح الباري، وبيّن السبب الذي جعل البخاري يبدأ صحيحه بهذا الحديث.

٢- الإمام مسلم وكتابه الجامع الصحيح

نسبه ومولده:

هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري [١] النيسابوري [٢].

صاحب كتاب (الجامع الصحيح) في الحديث، كان علمًا من أعلام الإسلام الذين خلد ذكرهم الزمان.

ولد سنة (٢٠٦) هجرية بنيسابور.

ارتحاله في طلب العلم:

كانت حياته حافلة بجلائل الأعمال، فسمع الحديث وحفظه، وطلب العلم منذ الصغر، ثم رحل في سبيل الحديث والرواية إلى الأقطار الإسلامية التي كانت تزخر بالمحدثين، فالتقى بهم وسمع منهم، فزار الحجاز، والعراق، والشام، ومصر وأخذ عن شيوخها من مشايخ البخاري وغيره، وكان شديد الحب والتقدير للبخاري، وقد تتلمذ عليه، واقتدى به في تصنيف صحيحه.

أخلاقه وسماحته في البحث:

كان الإمام مسلم رحمه الله من العلماء العاملين، وكان في أعلى درجات العفاف والصلاح والورع والتقوى، وقد شهد له العلماء بقوة الحفظ والضبط مع الثقة والأمانة.

ولم يكن الإمام مسلم متعصبًا لرأيه كما هو شأن أهل التعنت والغرور، بل كان يتسم بسمة العلماء الحقيقيين الذين يبتغون الحق، يدلنا على ذلك أنه لما فرغ من تصنيف صحيحه عرضه على أئمة هذا العلم النبوي الشريف، يقول الإمام مسلم: (عرضتُ كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علة تركته، وكل ما قال: إنه صحيح وليس له علة خرّجته).

صحيح الإمام مسلم:

هو أحد الكتابين اللذين هما أصح الكتب في الحديث بعد كتاب الله عز وجل، واللذين تلقتهما الأمة الإسلامية بالقبول، وقد انتقى صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث سمعها من العلماء في أثناء رحلاته في الأقطار الإسلامية، فهو ثمرة حياة مباركة، وقد مكث في جمعه وحفظه وتهذيبه وكتابته خمس عشرة سنة، حتى جاء على الهيئة الكاملة التي ينشدها.

١- نسبة إلى قشير وهي قبيلة مشهورة من قبائل العرب.

٢- نيسابور: بلد بخراسان ولد بها فنُسب إليها.

منهجه فيه:

بوّب صحيحه على الترتيب الفقهي متأسيًا في ذلك بالإمام البخاري، وجمع متون الأحاديث ذات الموضوع الواحد بأسانيدها في مكان واحد، فهو لم يكرر الأحاديث في الأبواب كما صنع البخاري في صحيحه.

وكان شديد البحث والتحري عن الرواة، فلم يُخرّج في صحيحه إلا عن الرواة الذين توافرت فيهم صفات: (العدالة) و (الضبط) و (المعاصرة) [1] بين التلميذ وشيخه.

واهتم بتمحيص متون الأحاديث، والموازنة بينها، يتجلى ذلك في الحديث الواحد الذي يرويه من عدة أسانيد بألفاظ مختلفة، ثم يشير إلى الفرق بينها.

وقد وضّح الإمام مسلم في مقدمة صحيحه المنهج الذي سار عليه في تخريج الأحاديث واعتماد الرواة.

وعدد ما في صحيحه من الأحاديث أربعة آلاف حديث، وأهم الشروح عليه (شرح النووي على صحيح مسلم).

وفاته:

بعد حياة مباركة أفنى الإمام مسلم فيها عمره في خدمة الحديث النبوي الشريف توفي رحمه الله في شهر رجب سنة (٢٦١) هجرية، ودفن بنيسابور.

١- البخاري لا يكتفي بالمعاصرة بين التلميذ وشيخه وإنما يشترط اللقاء الفعلي ولذلك قدم صحيحه على صحيح مسلم في المنزلة لأن شرطه أشد.

التقـويـــم

١- اكتب ترجمة موجزة للإمام مسلم مبينا فيها: نسبه، تاريخ ولادته، آثاره العلمية.

٢- تحدث عن الأقطار الإسلامية التي زارها، وماذا أفاد منها؟

٣- بأيِّ شيء شهد له العلماء؟ وبماذا تستدل على سماحته في البحث؟

٤- علام يدل انتقاء الإمام مسلم صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث في خمس عشرة سنة؟

٥- اقرأ (كتاب الصلاة) في صحيح مسلم ودوّن منهجه من خلال قراءتك.

٦- اذكر شروط الإمام مسلم في رواة الحديث، وما الشرط الذي خالف فيه البخاري؟ وماذا ترتب عليه؟

٧- اعقد مقارنة بين منهجي البخاري ومسلم في صحيحيهما، مع بيان الجانب الذي تأسى فيه الإمام مسلم بالبخاري.

٣- الإمام أبو داود وكتابه السنن

نسبه ومولده:

هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني [١].

ولد سنة (٢٠٢) هجرية.

حياته العلمية:

حُبّب إليه حفظ الحديث منذ الصغر، فرحل في طلبه إلى: العراق، والشام، ومصر، وخراسان، وقد أثنى عليه العلماء للحفظ والعلم والفهم مع الورع والدين، قال فيه إبراهيم الحربي: (أُلين لأبي داود الحديث كما أُلين لداود الحديد) وهو تشبيه يدل على تبحره في الحديث.

كتابه السنن:

كانت المؤلفات في الحديث يذكر فيها إلى جانب الأحكام أحاديث الفضائل والقصص والمواعظ والآداب حتى جاء أبو داود فجعل كتابه خاصًا بالسنن والأحكام مع الاستيفاء والاستقصاء. وحينما فرغ من كتابه عرضه على الإمام أحمد فاستحسنه، و لم يلتزم أبو داود في سننه تخريج الحديث الصحيح فقط - كما فعل البخاري ومسلم - بل جمع فيه الصحيح والحسن لذاته والحسن لغيره والضعيف المحتمل، وقد تحدث عن منهجه في كتابه فقال: (كتبتُ عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبتُ منها ما ضمنته كتابي (السنن) جمعتُ فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث من الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه أربعة أحاديث:

أولها- (إنما الأعمال بالنيات).

والثاني- (من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

والثالث- (لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه).

والرابع- (الحلال بيّن والحرام بيّن).

١- نسبة إلى سجستان التي تقع بين خراسان وكرمان.

وأبو داود يعني بذلك ما يتعلق بالأمور الأساسية، وما يرشد إليه كل حديث؛ فإنّ:

الأول– أساسٌ لصحة العبادات.

والثاني– أساسٌ لاستثمار الوقت فيما يفيد.

والثالث– أساس تكوين العلاقات الاجتماعية والإنسانية.

والرابع– أساس الوقاية من المحرمات، والبعد عمّا يشك الإنسان في إباحته.

درجة أحاديث سنن أبي داود:

لم يلتزم أبو داود إيراد الحديث الصحيح وحده، كما لم يلتزم بيان درجة كل حديث، بل بيّن بعضها وسكت عن بعضها الآخر، ولهذا لا يجوز الاستشهاد بحديث من هذا الكتاب إلا مع التأكد من درجته، إما من الكتاب نفسه، وإمّا من بعض الشروح له، مثل: (عون المعبود على سنن أبي داود) للعلامة شرف الحق العظيم أبادي.

وفاة أبي داود:

توفي رحمه الله سنة (٢٧٥) هجرية، ودفن بالبصرة.

٤- الإمام الترمذي وكتابه السنن

نسبه ومولده:

هو: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي [١].

ولد بترمذ سنة (٢٠٩) هجرية.

نشأته العلمية:

حفظ الحديث وهو صغير، ورحل إلى الآفاق، وسمع الحديث من أهل خراسان، والعراق، والحجاز، حتى صار إمامًا في الحديث، وهو ثقة متفق عليه، ويكفي في توثيقه أن إمام المحدثين البخاري كان يعتمده ويأخذ عنه.

كتابه السنن:

صنف الترمذي كتابه في الحديث، ورتبه على أبواب الفقه، وروى فيه الصحيح والحسن والضعيف، مع بيان درجة كل حديث في موضعه وبيان وجه ضعفه، وبيّن مذاهب الصحابة وعلماء الأمصار في كل المسائل التي عقد لها أبوابا، وأفرد في آخر الكتاب فصلاً للعلل [٢] جمع فيه قواعد مهمة في علم الجرح والتعديل [٣]. وأهم الشروح عليه كتاب (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) للإمام المباركفوري.

وفاته:

توفي رحمه الله بمدينة ترمذ سنة (٢٧٩) هـ.

١- نسبة إلى مدينة (ترمذ) التي تقع على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون.

٢- هي أسباب ضعف الحديث.

٣- هو علم يعرف به أحوال الراوي والمروي من حيث القوة والضعف.

٥- الإمام النسائي وكتابه المجتبى

نسبه ومولده:

هو: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي [١].

ولد سنة (٢١٥) هجرية بنساء.

مكانته العلمية:

أخذ الحديث عن علماء خراسان، ورحل إلى الحجاز، والشام، ومصر، والعراق، وكان شديد التحفظ والورع، شديد التحري عن الرواة، ومن المتشددين في قبول المرويات، وقد ألف كتبًا كثيرة من أشهرها: السنن الكبرى، السنن الصغرى، فضائل الصحابة.

كتابه السنن:

ألف النسائي سننه الكبرى أولاً مشتملة على الصحيح وغيره، ثم اختصرها في السنن الصغرى وسماها (المجتبى) وصنف الأحاديث على الترتيب الفقهي، وقد شرح سننه السيوطي في كتاب مختصر، سمّاه (زهر الربى على المجتبى).

وفاته:

توفي رحمه الله سنة (٣٠٣) هـ، ودفن ببيت المقدس.

١- نساء: بفتح النون والسين بلدة مشهورة في خراسان.

٦- الإمام ابن ماجه وكتابه السنن

نسبه ومولده:

هو: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه.

ولد سنة (٢٠٩) هجرية.

نشأته:

نشأ ابن ماجه محبًا للعلم والمعرفة، شغوفا بحفظ الحديث وروايته، وقد ارتحل في سبيل الحديث وجمعه إلى الحجاز، والشام، ومصر والعراق، ولقي كثيرًا من حفاظ الحديث وذاكرهم وأخذ عنهم، حتى صار علمًا من أعلام الحديث النبوي الشريف.

كتابه السنن:

من أبرز آثاره العلمية كتابه المشهور (سنن ابن ماجه) وقد رتبه ترتيبًا فقهيًا كما هو الشأن في الكتب الخمسة، والكتاب يدل على علمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة في الأصول والفروع، وقد شرحه الإمام السيوطي في كتاب أسماه: (مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه) وهو شرح وجيز ومفيد اقتصر فيه على الفوائد التي تتعلق بمتن الحديث.

وفاته:

توفي رحمه الله سنة (٢٧٣) هجرية.

مقارنة بين الكتب الستة

١ – صحيح البخاري ومسلم يسمّى كل منهما (بالجامع الصحيح).

ومعنى الجامع: أن كلاً منهما جمع بين دفتيه من الأحاديث النبوية ما يجمع أمور العقيدة، والتشريع، والتاريخ، والسيرة النبوية، وتفسير القرآن، والأخلاق، والقصص والمواعظ، والآداب.

وقد أجمع العلماء على صحة ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ولذلك كان ما اتفق عليه البخاري ومسلم في أعلى درجات الصحة، وكذلك ما انفرد به أحدهما، ويجوز الاستشهاد بأحاديثهما من غير حاجة إلى بيان درجتها؛ لأنهما التزما برواية الحديث الصحيح فقط.

وقد ذهب أكثر العلماء إلى ترجيح صحيح البخاري على صحيح مسلم لأمور:

(أ) البخاري شيخ مسلم، وهو أعرف منه بصناعة الحديث.

(ب) رجال البخاري أقوى في العدالة والضبط من رجال مسلم.

(ج) اتصال السند في أحاديث البخاري أقوى منه في أحاديث مسلم.

(د) دقة فقه البخاري واحتواء صحيحه على استنباطات فقهية لا توجد في صحيح مسلم.

٢– أما كتب السنن الأربعة: (سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه) فإن أصحابها لم يلتزموا بإخراج الصحيح فقط، وإنما رووا فيها الصحيح والحسن والضعيف.

ولذلك لا يجوز الاستشهاد بحديث منها إلا بعد معرفة صحته إما من صاحب الكتاب، وإما من بعض شروح هذه الكتب.

التقـويـــم

١- تحدث عن منهج أبي داود في كتابه السنن.

٢- علام يدل هذا القول: (أُلين لأبي داود الحديث كما أُلين لداود الحديد)؟

٣- صف كتاب السنن للإمام الترمذي، واذكر ما يدل على سعة علمه وتوثيقه.

٤- متى ولد النسائي؟ وما الأقطار التي رحل إليها؟ وماذا استفاد منها؟ وما العلاقة بين (السنن الكبرى) و (السنن الصغرى)؟

٥- اكتب ترجمة موجزة لابن ماجه، ثم بيّن منزلة كتابه بين كتب السنّة.

٦- اقرأ بعض الأحاديث في كتب السنن الأربعة، ودوّن في كراستك انطباعاتك عن كل كتاب من حيث:

(أ) اشتماله على الأحاديث الصحيحة وغيرها.

(ب) نوعية الأحاديث التي يشتمل عليها، (أهي أحاديث أحكام أم أنها تشتمل على الأحكام وغيرها؟)

٧- وضّح الفرق بين سنن أبي داود وسنن الترمذي في رواية الحديث والتعليق عليه.

٨- ذكر أبو داود أن أصول التدين تكمن في أربعة أحاديث. اكتب هذه الأحاديث، وبيّن فكرة أبي داود فيها.

٩- رتب هذه المصنفات بحسب درجة صحة أحاديثها:

( ) سنن أبي داود.

( ) سنن الترمذي.

( ) صحيح البخاري.

( ) صحيح مسلم.

( ) سنن ابن ماجه.

( ) سنن النسائي.

دراسات نصية من الحديث الشريف

١ – فضل تلاوة القرآن الكريم

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيّب، وطعمها طيّب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها، وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيّب، وطعمها مرّ. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح، وطعمها مرّ".

رواه البخاري ومسلم

راوي الحديث:

هو عبد الله بن قيس التميمي، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وأول مشاهده خيبر، استعمله النبي ﷺ على اليمن، وولي الكوفة والبصرة لعمر بن الخطاب ﷺ، كان حسن الصوت في تلاوة القرآن الكريم، حتى قال له ﷺ: "لقد أُوتيتَ مزمارًا من مزامير آل داود" [١]. حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، وكان صوّامًا، قوّامًا، زاهدًا، عابدًا. توفي سنة اثنتين وأربعين للهجرة.

شرح الحديث:

١ – تمهيد:

كثيرةٌ هي طرق الخير في شريعتنا السمحة، وعلى رأسها جميعًا تلاوة القرآن الكريم؛ وذلك لما أعدّه الله تعالى من ثوابٍ لحامل القرآن، إذ يقول الرسول ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشرة أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف» [٢]، بل إنه ﷺ يخبرنا حاثًّا: «اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» [٣].

١– متفق عليه.

٢– رواه الترمذي.

٣– رواه مسلم.

ولا يعرف فضل القرآن إلا من عرف ما كان عليه العرب قبل نزوله من ضلال وضعف وتفكك وانحطاط، وما صاروا إليه بعد نزوله من هداية واتحاد ورفعة. ويكفي أن نعلم أنّ العرب بفضله تمكنوا خلال ربع قرن أن يدحروا أعظم إمبراطوريتين في ذلك الزمن، وينشروا لواء العدل والرحمة على ربوع الأرض، وما يزالون في عزٍّ ومنعة حتى وهنت علاقتهم بالقرآن فعادوا إلى قريب مما كانوا عليه من ضعف وتفرق. وهو ما يؤكد الأثر الوارد عن الإمام مالك: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. وقد صلح أولها بالقرآن" [1].

٢- المؤمن القارئ للقرآن:

وفي إطار الربط الحسي للمؤمن الذي يقرأ كتاب الله ويعمل به يشبّه المصطفى ﷺ المؤمن القارئ بالأترجة المعروفة بطيب الطعم والرائحة.

فهو بإيمانه حلو الباطن، لا يتكدر بوساوس الشر والفساد، وهو بقرآنه على بيّنة من أمره في سلوكه وتعامله، وهو بنفعه للناس وما يجدون من القرب منه أشبه بالأترجة، وهي فاكهة حلوة المذاق، طيبة الرائحة، جميلة الشكل.

٣- المؤمن الذي لا يقرأ القرآن:

أما المؤمن الذي تحول أوضاع قاهرة دون قراءته للقرآن الكريم والتعبد بتلاوته - ككونه أميًّا مثلاً - فقد شبّهه الرسول ﷺ بالتمرة التي لا رائحة لها وطعمها حلو.

فهو بإيمانه حلو الباطن كذلك، إلا أنه لم يرزق نعمة القدرة على نفع الآخرين. وما دام في دائرة الإيمان فهو على خير إن شاء الله تعالى.

تنبّه:

مُحالٌ أن يراد بالمؤمن الذي لا يقرأ القرآن، من يعرف القراءة ويقضي وقته في قراءات لا تفيد، والقرآن حبيسٌ في بيته قد اتخذه للزينة والتبرك، ولا ينفض عنه الغبار إلا في المناسبات والمواسم!

١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ج٢، ص٢٠٥.

والوصف الجامع للمؤمن قارئًا وغير قارئ بالأترجة والتمرة، يتجلى في كثرة النفع، فشجرة الأترج كبيرة الحجم، كثيرة الظل، طويلة العمر، وكذلك شجرة النخل.

٤- المنافق القارئ:

و لم يزل منذ القديم ناسٌ يتخذون من القرآن فنًّا وهواية ومصدر رزق، وهم يقرؤونه على أنه لونٌ من الترف الفكري، أو بابٌ من أبواب الكسب، ينتفع به غيرهم بالاستماع والاستفادة، إلا أنهم محرومون من الثواب، إذ بواطنهم لم تزل مكدّرة بالشكوك والخواطر الفاسدة والضلالات المدمرة، فهم كالريحانة طيبة الريح ولكنها مرة المذاق.

ووصفهم بالنفاق وصفٌ ملائمٌ تمامًا، فقد تسمع منهم القرآن فتُسر، فإذا عاملتهم بالدرهم والدينار لم تجد خلق أهل القرآن الذين يتفاعلون مع أحكامه فيطبقونها في حياتهم.

٥- المنافق الذي لا يقرأ القرآن:

و لم يزل كثيرٌ من الناس لم ير في القرآن نفعًا دنيويًا، فهو معرضٌ عنه زاهدٌ فيه، فعبّر بهجره للقرآن – مع القدرة على التلاوة – عن فساد باطنه وضعف يقينه.

إنه كالحنظلة لا ظل لشجرتها، ولا خضرة تبهج النظر، ولا رائحة تمتع الحواس، ولا طعم ينفع المتذوق، فقد خلا من كل نفع.

والوصف الجامع للمنافق قارئًا وغير قارئ بالريحانة والحنظلة، يتجلى في قلة النفع، فشجرة الريحان صغيرة الحجم، قليلة الظل، قصيرة العمر، وكذلك شجرة الحنظل.

التقـويـــم

١–كيف كان العرب قبل نزول القرآن الكريم؟ وكيف أصبحوا بعد نزوله؟

٢– الرسول الأعظم ﷺ خبيرٌ بطبائع البشر وخصائص النبات. كيف تبيّن ذلك من الحديث؟

٣– ما الوصف الجامع بين المؤمن والتمرة والأترجة؟

٤– لماذا وُصف المؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة؟

٥– ما سرُّ اختيار الحنظلة لوصف المنافق الذي لا يقرأ القرآن؟

٦– في ضوء ما علمت من تلازم بين الإيمان والقرآن، كيف تتصور مؤمنًا لا يقرأ القرآن؟

٧– ما المقصود بقوله تعالى: (وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا) [١]؟

١– الآية ٣٠ من سورة الفرقان.

٢- الأعمال التي لا ينقطع ثوابها

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له).

رواه مسلم

رواي الحديث:

هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن، وإنما كني أبا هريرة لأنه كان يحمل هرة صغيرة ويرفق بها.

أسلم سنة ٧هـ، وأكثر من ملازمة الرسول ﷺ حتى أصبح أكثر الصحابة حفظا للحديث الشريف، فقد روى (٥٣٧٤) حديثا، وروى عنه أكثر من ثمانمائة من الصحابة والتابعين. عيّنه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عاملاً على البحرين، وسكن المدينة المنورة، وبها كانت وفاته عام ٥٧هـ عن ثمان وسبعين سنة.

شرح الحديث:

خلق الله تعالى الإنسان في الحياة الدنيا للكدح والعمل، وجعل الآخرة للحساب، فالدنيا دار ابتلاء، والآخرة دار جزاء، ووضع قاعدة عامة تحقق العدالة بالربط بين العمل والجزاء فقال تعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ) [١].

ولما كان الموت نهاية كل حي، فإن من الطبيعي أن تتوقف الأعمال التي يجري على أساسها الثواب والعقاب. ومع ذلك فقد شاء الله تعالى أن يفتح لعباده أبوابًا من الخير أبقاها مفتوحة لمن دخلها بحيث يفيد من ثمرات أعماله حتى بعد وفاته، فتكون أعماله هذه روافد تصب في ميزان حسناته. وقد ذكر الحديث الشريف موضوع الدرس ثلاثة من هذه الأعمال، وهي:

١- الآيات ٣٩ – ٤١ من سورة النجم.

١ – صدقة جارية:

وهي الصدقة على الفقراء والمساكين؛ لأن فيها شكرًا لنعمة الباري سبحانه، وتزكية للنفس والمال معا، فاذا كانت هذه الصدقة جارية، أي دائمة النفع كالوقف، كان ثوابها أعظم، فمن وقف شيئًا لوجه الله فأجره يجري ما دامت عين الوقف قائمة، وقد تكون هذه العين مكتبة عامة، أو ماء سبيل، أو أرضًا ونحوها.

وقد ورد في الحديث الصحيح أن سعدًا بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقتُ عنها؟ قال: نعم، قال فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها[١].

٢ – علم ينتفع به:

حثّ الإسلام على العلم، واعتبر طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة، حتى إن أول آية كريمة نزلت على الرسول ﷺ كانت (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) [٢] بكل ما يحمله هذا الخطاب من دلالات.

نشاط (١):

تدبر الآيات الثلاث الأولى من سورة العلق ثم أجب عما يأتي:

١– لمن وُجّه الخطاب في الآية الأولى؟ وهل الخطاب خاص أم عام؟

٢– أشارت الآيات الكريمة إلى أداة الكتابة والتعلم. اذكر الآية الدالة على ذلك.

وقد رفع الإسلام من شأن العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء، ولولا العلم لعاش الناس في ظلمات الجهل والجاهلية، ولما تميّز الإنسان الذي كرّمه الله سبحانه وتعالى عن الحيوان الأعجم. وصدقة العلم نشره، ويكون ذلك بالتعليم والتأليف، ويبقى ثواب هذه الصدقة ما بقيت آثار هذا العلم في الناس باقية.

ويشترط في العلم الذي ينتفع به صاحبه بعد موته أن يكون نافعا في ذاته، وهذا يستلزم أن يكون مشروعًا من جانب، وأن يحقق مصلحة للناس في دنياهم وأخراهم من جانب آخر.

١– رواه البخاري، الحائط هو البستان، والمخراف هو النخل لأنها تخترف ثمارها أي تجتنى.

٢– الآية ١ من سورة العلق.

٣- ولد صالح يدعو له:

المال والبنون زينة الحياة الدنيا. فإذا كانت الذرية صالحة كانت قرة عين للوالدين وقد سأل زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ذرية صالحة. قال تعالى: (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً)[١].

وكما أن الوالد مطالب بتربية ابنه تربية صالحة، لقوله تعالى: (قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ)[٢]، فلا بد أن ينال الوالد الثواب إذا أحسن تربيته لأولاده، ومن تمام صلاح الولد أن يدعو لوالديه في حياتهما وبعد مماتهما، وثواب هذا الدعاء يصل بإذن الله إلى والديه كما قرر الحديث الشريف. وقد دعا إبراهيم عليه السلام لوالديه فقال: (رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ)[٣]. كما دعا نوح لوالديه ولكل المؤمنين: (رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا)[٤].

وكما كنا ذكرنا سابقًا من اشتراط كون العلم نافعًا ليصل ثوابه، فإن من شروط الولد أن يكون صالحا ليصل دعاؤه، أما الولد الفاسق فلا كرامة له عند الله بل هو ثمرة غير طيبة من ثمار والده.

والآن وقد فرغنا من هذه الأعمال الثلاثة التي يصل ثوابها إلى الميت، فإنه يتبادر إلى أذهاننا عدد من الأسئلة، منها:

- **ما سرُّ وصول ثواب هذه الأعمال إلى الميت؟**
- **وما الحكمة من تخصيص هذه الأعمال الثلاثة بالذكر؟**
- **وهل هناك مجال لاستفادة الميت من عمل الآخرين؟**

وإليك، عزيزي الطالب الإجابة عن هذه الأسئلة:

١- أما عن السر الكامن وراء وصول ثواب هذه الأعمال إلى المسلم بعد موته، فهو أن الميت كان سبب هذه الأعمال في الدنيا، فهو الذي قدّم الصدقة الجارية، وهو الذي خلّف العلم ونشره بين الملأ، وهو الذي ربّى ولده على الطاعة والعبادة فكان ولدًا صالحًا، وبهذا تبدو هذه الأعمال أشبه بغرس غرسه في الدنيا، فاستحق أن ينعم بثمراته وخيراته في الآخرة، فضلاً من الله ورحمة، والله لا يضيع عمل المحسنين.

١- الآية ٣٨ من سورة آل عمران.

٢- الآية ٦ من سورة التحريم.

٣- الآية ٤١ من سورة إبراهيم.

٤- الآية ٢٨ من سورة نوح.

٢- أما عن حكمة تخصيص هذه الأعمال بالذكر دون غيرها، فذلك لما يترتب على القيام بها من خير عظيم يفيد منه الناس في الدنيا، إغراءً للآخرين للقيام بأعمال مماثلة يعم خيرها المجتمع، وتطهيرًا للنفس الإنسانية من الأثرة وحب الذات، بالإضافة إلى توجيه الناس للقيام بها. ولا يعني الحديث الشريف أن غير هذه الأعمال لا يستمر ثوابها، وإنما أورد هذه الأمور على سبيل التمثيل وليس الحصر.

نشاط (٢):

١- اذكر خمسة أمثلة عن الصدقة الجارية.

٢- اذكر خمسة أنواع من العلوم النافعة.

٣- أن ما قدمناه من بيان للحديث الشريف إنما تركز حول الأعمال التي يقوم بها الشخص في دنياه فيصل ثوابها إليه بعد موته، لكن ماذا عن إمكانية استفادة الميت من أعمال لم يكن سببا فيها حال حياته، إنما هي أعمال قام بها عنه آخرون، فهل يصل إليه ثواب هذه الأعمال أم لا؟ إن المتتبع للنصوص الشرعية، وبخاصة ما ورد منها في السنة النبوية، يتبين له أن هنالك مجالات لاستفادة الميت من عمل غيره، ومن ذلك:

- الصوم: فقد قال ﷺ : (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)[١].
- الحج: فقد ورد في صحيح البخاري أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته، اقضوا الله فالله أحق بالوفاء).
- قراءة القرآن: إن قراءة القرآن وإهداءها للميت تطوعًا من الأعمال التي يصل ثوابها إلى الميت بإذن الله، أما ما جرت به عادة بعض الناس من استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت فهذا لم يفعله أحد من السلف، وليس مشروعا.

إن القول باستفادة الميت من عمل غيره لا يعني أن يتساهل أحدنا في القيام بواجباته الشرعية حال حياته، وأن يعتمد على ما يقوم به غيره فهذا مخالف لروح الإسلام ومبادئه.

١- رواه الشيخان.

التقـويـــم

١- ما اسم أبي هريرة؟ وما سبب كنيته بذلك؟

٢- كم عدد الأحاديث الشريفة التي رواها أبو هريرة عن الرسول ﷺ ؟

٣- ما المقصود بقوله ﷺ (انقطع عمله)؟

٤- ما معنى (صدقة جارية)؟ اذكر أمثلة عليها.

٥- اذكر دليلاً شرعيًا على الصدقة الجارية.

٦- اهتم الإسلام بالعلم اهتمامًا كبيرا. اذكر ثلاثة جوانب توضح هذا الاهتمام.

٧- وصف الحديث الشريف الأفعال التي لا تنقطع بموت الشخص بصفات معينة. اذكر صفة كل فعل من هذه الأفعال.

٨- لم كانت الأفعال الثلاثة المذكورة في الحديث الشريف غير منقطعة الثواب بالنسبة للميت؟

٩- ما الحكمة من تخصيص الحديث الشريف هذه الأفعال الثلاثة بالذكر دون سواها؟

١٠- هل هناك أعمال يمكن أن يصل ثوابها إلى الميت من فعل غيره ؟ سمّ ثلاثة من هذه الأعمال.

١١- اذكر ثلاثة أمور يرشد إليها الحديث الشريف.

١٢- هات دليلاً شرعيًا واحدًا على وصول ثواب الصيام والحج إلى الميت.

٣- إصلاح ذات البين

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة)

رواه أحمد

راوي الحديث:

هو الصحابي الجليل عويمر بن عامر بن مالك الخزرجي الأنصاري. أسلم يوم بدر، عني بجمع القرآن الكريم وحفظه حتى غدا أحد أربعة يشار إليهم بالبنان في ذلك، وكان فقيهًا عاقلاً حكيما، وكان يكنى بأبي الدرداء.

آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، وشارك في غزوة أحد وما بعدها، انتدبه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى دمشق لتعليم أهلها وكان سيد القراءة فيها. وتولى قضاءها في عهد عثمان رضي الله عنه، وتوفي قبل مقتل عثمان بسنتين.

شرح الحديث:

١- إن أول ما يلفت نظرنا لدى تأمل هذا الحديث الشريف أسلوب صاحب الدعوة عليه أفضل الصلاة والسلام في مجال تعليم أصحابه وتربيتهم، فهو لا يملي عليهم المعلومات الدينية إملاء، وإنما يلجأ إلى محاورتهم، فيبادر بتوجيه السؤال إليهم في الموضوع الذي يريد، ويثير فيهم حب الاستطلاع، حتى إذا تهيأت النفوس وافاهم الرسول ﷺ بالبيان المطلوب. والحوار عن طريق السؤال نجده شائعا في الحديث الشريف، ومن ذلك قوله ﷺ :

- (أتدرون ما الغيبة؟)
- (أتدرون من المفلس؟)
- (ما تعدُّون الشهيد فيكم؟)

٢- وإذا انتقلنا من أسلوب الحديث الشريف إلى مضمونه ومحتواه، فإنه يستوقفنا نص الحديث الشريف، وهو يجعل الإصلاح بين الناس في مرتبة أسمى من الصلاة والصيام والصدقة.

وهنا يبرز سؤال: كيف يمكن أن يكون الإصلاح بين الناس أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة، مع أن هذه الأمور الأخيرة من أركان الإسلام؟

أ- إن الصلاة والصيام والصدقة (الزكاة) من أركان الإسلام، وهي معلومة من الدين بالضرورة، وهي فروض عين لا يعفى من أدائها أحد، في حين الإصلاح بين الناس من فروض الكفاية لا يطالب بأدائها كل فرد، وبناء عليه، فإن الحديث الشريف لا يضع الإصلاح بين الناس في كفة، والصلاة والصيام والصدقة في كفة أخرى؛ ليقرر أن الإصلاح خير من تلك العبادات وأرجح منها. بل إنه يجعل المفاضلة بين شخص يقنع من دينه بالصلاة والصيام والزكاة، ثم ينفض يديه من مشكلات مجتمعه، وشخص آخر لا يكتفي بأداء هذه الشعائر، بل إنه يتعداها إلى القيام بالإصلاح بين الناس، فأيُّ الشخصين أفضل يا ترى؟ لا شك أن من يعنى بالإصلاح بين الناس أفضل، لأنه أتى من أعمال الخير زيادة على ما أتى به الأول، وخرج من دائرة الاهتمام بنفسه وما ينفعه إلى دائرة الاهتمام بالقضايا العامة.

نشاط (١):

١- ما الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية؟

٢- اذكر مثالاً على كل من فرض العين وفرض الكفاية.

ب- إن كثيرًا من النصوص الشرعية تستعمل أسلوب الترغيب والترهيب، فتراها ترتب الجزاء الكبير على الشيء، وإن بدا في أعين الناس ضئيلا، إغراءً لهم بفعله إن كان خيرًا كقوله ﷺ: (**اتقوا النار ولو بشق تمرة**)[١]، أو تحذيرا لهم من الإقدام عليه إن كان شرا، كقوله ﷺ في شأن من يتساهل في غسل رجليه في الوضوء: (**ويلٌ للأعقاب من النار**)[٢].

١- رواه الشيخان وأحمد والحاكم.

٢- رواه الشيخان وأبوداود والنسائي وابن ماجه.

والحديث الشريف الذي بين أيدينا مثال جيد لاستعمال هذا الأسلوب، إنه يقرر هذه الدرجة الرفيعة للإصلاح بين الناس تشجيعًا للناس وحثًا لهم على فعله، من دون أن يكون الموضوع موضوع مقارنة بينه وبين غيره كما هو ظاهر.

نشاط (٢):

بيّن موضع الترغيب والترهيب في نص الحديث الشريف.

٣- لقد سلك الإسلام في سبيل تأصيل مبدأ الإصلاح بين الناس مسالك متعددة، وقاية من الوقوع في النزاع، وعلاجًا لهذا النزاع إن وقع. فعلى الصعيد الوقائي حارب الإسلام الغيبة والنميمة والتحاسد والتقاطع والتجسس، وكل ما من شأنه أن يفضي إلى سوء التفاهم والخصام. وعلى الصعيد العلاجي دعا الإسلام إلى لم الشمل وتجاوز أسباب الفرقة والخلاف، وأوصى المتنازعين بما يأتي:

أ - التزام تقوى الله في معالجة النزاع. قال تعالى: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ)[١].

ب- الاحتكام إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ: (فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا)[٢].

ج- اللجوء إلى التحكيم إذا اشتد النزاع، سواء أكان ذلك على مستوى الأسرة الصغيرة أم على مستوى الجماعات الكبيرة.

لقد عني الرسول ﷺ بالإصلاح بين الناس، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة. فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: (**اذهبوا بنا نصلح بينهم**)[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الشرع الإسلامي قرر معونة للغارمين في سبيل الإصلاح بين الناس، وذلك في أموال الزكاة. وفي ذلك يقول القرطبي في تفسير الآية الكريمة الخاصة بمصارف الزكاة: (ويجوز للمتحمل في صلاح وبر أن يعطى من الصدقة ما يؤدي ما تحمل به إذا وجب عليه وإن كان غنيا، إذا كان ذلك يجحف بماله كالغريم)[٤].

١- الآية ١ من سورة الأنفال.

٢- الآية ٥٩ من سورة النساء.

٣- رواه البخاري.

٤- تفسير القرطبي ٨ / ١٨٤.

إن الإصلاح بين المسلمين من أفضل الأعمال التي ينبغي أن يحرص عليها أهل الحل والعقد في هذه الأمة. كيف وقد ربط الإسلام بين هذه الأمة ووحدانيته تعالى في سياق واحد، قال تعالى: (إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ)[1]. أما إذا ساد الفساد وعمّ الخصام فإن ذلك يؤذن بتقويض الأمن وتفكيك عرى المجتمع، وتمكين العدو المتربص بهذه الأمة من التسلل إلى صفوفها والنيل منها، وهو ما عبر عنه الرسول ﷺ بقوله: (هي الحالقة). وقد فسر الحالقة في رواية أخرى بقوله: (لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)[2]، أي أنها تنال منه وتقضي عليه.

١- الآية ٩٢ من سورة الأنبياء.

٢- سنن الترمذي، حديث رقم ٢٥٠٩.

التقـويـــم

١- بم وصف الرسول ﷺ أبا الدرداء؟

٢- ما اسم أبي الدرداء؟ ومتى أسلم؟

٣- تميّز أبو الدرداء بعنايته بالقرآن الكريم. وضح ذلك.

٤- تضمّن الحديث الشريف أسلوبين من أساليب الدعوة إلى الله، اذكرهما.

٥- كيف توفق بين قوله ﷺ : (الصلاة عمود الدين) واعتباره الإصلاح بين الناس أفضل من درجة الصلاة في هذا الحديث؟

٦- بيّن معنى كل من المفهومين الآتيين: ذات البين، الحالقة.

٧- ما الحكمة من جعل الإصلاح بين الناس في مرتبة أفضل من الصلاة والصيام؟

٨- اذكر حادثة قام فيها الرسول ﷺ بالإصلاح بين الناس.

٩- بيّن منهج الإسلام في معالجة النزاع بين المسلمين.

١٠- وضّح ثلاثة أمور يرشد إليها الحديث الشريف.

٤- تداعي الأمم على المسلمين

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن) فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا، وكراهية الموت).

أخرجه أبو داود

راوي الحديث:

هو ثوبان بن يجدد الحميري اليمني، يكنى أبا عبدالله. سبي فاشتراه رسول الله ﷺ ثم أعتقه وقال له: (إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم، وإن شئت أن تكون منّا أهل البيت) [١]، ولكن ثوبان آثر موالاة رسول الله ﷺ، ولازمه في سفره وحضره، وروى عنه أحاديث عدة. خرج إلى الشام بعد وفاته ﷺ، وشارك في فتوح مصر، ثم ذهب إلى حمص وتوفي فيها سنة ٥٤ هـ.

شرح الحديث:

يظهر من خلال هذا الحديث الشريف عدد من الأفكار الرئيسة منها:

١- دلائل النبوة:

يضعنا هذا الحديث الشريف أمام دليل ناصع من أدلة النبوة تشخص لنا واقع أمتنا الإسلامية هذه الأيام، وما آلت إليه من ضعف وفرقة، حتى لا يكاد يخرج حرف واحد من واقعنا الذي نعيش عما سبق أن نبأنا به رسول الهدى محمد ﷺ.

وتتلخص هذه النبوءة بأن المد الإسلامي سيعقبه جزر، وأن انتشار الإسلام سيليه انحسار، وسيكون للكفار هجمة على بلاد الإسلام، حيث سيتداعون عليها من كل حدب وصوب. ويخبرنا الرسول ﷺ أن هذا الأمر وشيك ليس ببعيد. وصدق رسول الله، فقد أصبح العالم الإسلامي عرضة لهجمات متكررة من قبل الشرق والغرب.

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج١، ص٤٨٠.

٢- عداوة الكفار للإسلام والمسلمين:

جاء الإسلام خاتمًا للرسالات السماوية، فكان الدين الكامل الشامل للإنسانية جميعها، هدفه الأسمى تحرير الإنسان من رق العبودية للعباد لينعم بنور الحرية في رحاب العبودية لرب العباد. ولكن أعداء الإسلام تراهم يلتمسون كل سبيل لإطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. وإذا سنحت لهؤلاء الفرصة للوثوب على الإسلام فلن يترددوا في ذلك، تجمعهم على اختلافهم رهبتهم من هذا الدين ورغبتهم في القضاء عليه مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ (١).

فإذا أضيف إلى عدائهم لهذا الدين رغبتهم في السيطرة على ثروات هذه الأمة، أدركنا سر اهتمام هؤلاء الأعداء بالهجوم على بلادنا في موجات متتالية منذ الحروب الصليبية وحتى الآن.

لقد غدا العالم الإسلامي بما حباه الله من ثروات شتى أشبه بقصعة كبيرة تغري الطامعين بالإغارة عليه ونهب هذه الخيرات والثروات. فليكن المسلمون من أمرهم على بصيرة !!

٣- المسلمون بين حجم الأعداد وحسن الإعداد:

إن مما يؤسف له أن العالم الإسلامي لا يواجه المرحلة الحرجة التي يعيشها بما تقتضيه من جدية وحزم، فهو لا يكلف نفسه عناء المواجهة، ويعيش في حالة من الاسترخاء والتمزق وعدم المبالاة، في حين العدو يخطط وينفذ ويتآمر للقضاء على الإسلام والمسلمين.

إن التعداد السكاني للعالم الإسلامي يربو على المليار ونصف المليار، وهو رقم ضخم يعيش على مساحة شاسعة من الكرة الأرضية ضمن مناطق إستراتيجية تنعم بثروات طائلة، ولكن أيًّا من مقومات الصمود هذه لم تشفع للمسلمين بحسن التصدي للعدو لا الأعداد البشرية، ولا الموقع الإستراتيجي، ولا الامتداد الجغرافي، ولا الثروات الضخمة. حتى غدا كل ذلك أشبه بغثاء السيل، يحمله السيل ثم يلفظه على الشواطئ الممتدة.

إننا نباهي بكثرتنا دولاً وشعوبًا وأفرادًا، ولكنها كثرة غير فاعلة، وكأنما كان هذا الخلف من غير نسل أولئك السلف الأمجاد، الذين كانوا يواجهون أعداءهم من دون أن يعولوا على كثرة في عددهم أو عدتهم.

١- الآية ٢١٧ من سورة البقرة.

إن سياسة الإسلام في مواجهة العدو تقوم في المقام الأول على حسن الإعداد وليس على حجم الأعداد.

ومما يروى في هذا المقام أن رجلاً من نصارى العرب قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه، في معركة اليرموك: (ما أكثر الروم وأقل المسلمين) قال خالد: (ويلك، أتخوفونني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال).

وإذا تتبعنا معارك المسلمين الأولى فإننا قلما نظفر بمعركة كان جند المسلمين فيها هم الأكثر عددا، بل إننا نلاحظ أنهم ما اغتروا بقوتهم يومًا إلا كان الخذلان نصيبهم.

نشاط (١):

- اذكر أسماء ثلاث معارك كُتب النصر فيها للمسلمين بالرغم من قلة عددهم.
- اذكر اسم معركتين أصيب المسلمون فيهما بالهزيمة عندما اعتدّوا بكثرتهم.

ومن الجدير بالذكر أن الرعيل الأول من المسلمين كانوا على قدر كبير من حسن الإعداد، فقد كان الواحد منهم مؤهلاً لمواجهة عشرة، قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ) [١].

٤- اهتزاز العقيدة الجهادية لدى المسلمين:

ما سر ضعف المسلمين في أيامنا هذه بالرغم من كثرتهم؟ إن الجواب عن هذا السؤال هو ما نجده في الحديث الشريف: (حب الدنيا وكراهية الموت)، وهو تعبير ينم عن فتور الروح الجهادية في النفوس للدفاع عن الأمة ودينها، وذلك بالإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة.

إن للإسلام نظرته المميزة بالنسبة إلى الحياة والموت. إن الدنيا في المنظور الإسلامي دنية، بل إنها توصف بكونها دنيا مبالغة في الذم والتحقير إذا قيست بالحياة الأخرى. وعلى هذا فإن المسلم يعيش في دنياه من دون أن يكون عبدًا لشهواته فلا يجعل الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه. قال تعالى: (وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا) [٢].

١- الآية ٦٥ من سورة الأنفال.

٢- الآية ٧٧ من سورة القصص.

التقـويـــم

١- علام يدل موقف ثوبان الحميري عندما آثر موالاة الرسول ﷺ ؟

٢- ما الهدف الحقيقي الكامن وراء معاداة الكفار للمسلمين؟

٣- وضّح معنى قول خالد بن الوليد رضي الله عنه: (إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان).

٤- تقوم سياسة الإسلام في مواجهة أعدائه على أساس الإعداد الكيفي. وضّح ذلك.

٥- ماذا يعني وصف الرسول ﷺ للمسلمين في هذه الأيام بأنهم غثاء كغثاء السيل؟

(وآخـرُ دعـواهــم أنِ الحمـدُ للهِ ربِّ العالمـين)

(سورة يونس: من الآية ١٠)